الوسيـــــم

الوسيـــم

روايـــة

مصطفى مكاوي

اسم الكتاب: الوسيـم
اسم الكاتب: مصطفى مكـاوي
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: فـارس حسـن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – ينايـر ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2020 / 4394

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

في حياة كل منا شيطان يرتدي قناع الملائكة.

الزمن وحده هو الذي يكشف ذلك القناع.

مصطفي مكاوي

إلى أصحاب الوجوه المتعددة..

إرتدوا ما شئتم من أقنعة، لكن تأكدوا..

نعرف وجهكم الحقيقي جيدا

الفصل الأول

"عدوانية"

في إحدى ليالي الشتاء ذات الطقس شديد البرودة ارتفع صفير الرياح فأطلق الخوف داخل النفوس، وتساقط الغيث بغزارة وقوة فأخذت قطراته ترتطم بالسيارات، ونوافذ البيوت، وأتم البرق، وهزيم الرعد سيمفونية الشتاء الخالدة. وفي منطقة حي الزمالك أبى الليل أن ينجلي إلا بعد أن تصير تلك الليلة ليلة ليلاء فانقطع التيار الكهربائي فأطبق الظلام بأنيابه على ذلك الحي الراقي، وصارت الأرض مرتعاً للشياطين، ومن على شاكلتهم من الإنس يفسدون فيها كيفما يشاؤون، وكانت الطفلتان كوثر، ونادين اللتان في الرابعة عشر، والإثنى عشر من عمرهما نائمتان في غرفتهما الخاصة محتضنتان بعضهما البعض، وثماني شمعات موضوعة داخل شمعدانين يضيئون لهما الغرفة، وفجأة تحرك الشمعدانان وقذفا على السرير الذي تنام عليه الطفلتان فاشتعلت النيران في الغطاء الذي يلتف حول جسد الطفلتان وامتلأت الغرفة بالنيران والدخان ثم ظهر على الحائط خيالاً لطفل صغير لا يتعدى عمره العشرة أعوام.

******

بعد ذلك بخمسة أعوام..

هبط الدكتور محمود الغريب من سيارته، وقد كسى الغضب الشديد وجهه، ودلف إلى إحدى المدارس الإعدادية الثانوية، وسار بخطوات عصبية متجهاً إلى غرفة مدير المدرسة التي يدرس فيها ابنه أدهم التلميذ بالصف الثالث الإعدادي، والذي تكررت شكوى معلميه وزملائه منه بسبب أسلوبه العدائي مع الجميع دون استثناء، ومحمود الغريب هو صيدلي ناجح يمتلك صيدلية كبيرة في منطقة وسط البلد، وهو ذو لحية كثيفة، في بداية الخمسينات من عمره تقريباً.

جلس الدكتور محمود أمام مدير المدرسة البدين الأصلع، والذي بدت على وجهه علامات الغضب الشديد، ووقف الطفل أدهم جوار والده، وهو طفل قصير القامة لحد ما، وسيماً للغاية، ذو شعر أسود ناعم ينسدل على وجهه، يكاد يغطي حاجبيه فبدا ذو مظهراً بريئاً جميلاً لا تبدو عليه العدوانية أو الشر مطلقاً.

وقف مدير المدرسة وقال غاضباً: هذه هي المرة الثالثة التي تأتي فيها يا دكتور محمود لتقدم اعتذارك عن تصرفات ابنك، ورغم ذلك يعود ليصطنع المشاكل مع زملائه ومعلميه، وأنا لأجل خاطرك أتجاوز عن تلك التصرفات، ولكن أن تصل تصرفاته لأن يحطم نظارة معلمه فهذا كثيرولا يمكن تحمله.

قال محمود وهو يشعر بالخجل الشديد: في الواقع لست أدري ماذا أقول، ولكني أعتذرلك بشدة، وأرجو أن تجعلني ألتقي بذلك المعلم لأعتذرله.

قال مدير المدرسة: لقد تخطينا مرحلة الاعتذارات يا دكتور محمود. أنا مضطر أن أعطيك ملف ولدك في نهاية السنة الدراسية لتبحث له عن مدرسة أخرى.

انتابت الدكتور محمود حالة من الخجل الشديد لكنه لم يجد بداً من الحديث والدفاع عن ابنه فرفع رأسه المحنية، ونظر إلى المدير وقال له: من فضلك يا عبد الحميد بيه تمهل، وإعط لأدهم فرصة أخيرة. أنت تعلم أن مدرستكم هي أقرب مدرسة لمنطقتنا ولا يوجد غيرها بها فصول للمرحلتين الإعدادية والثانوية. أنا أعلم أن أدهم أخطأ ولذلك سيتم عقابه بشدة. أما بخصوص المعلم الذي حطم أدهم نظارته فسوف أذهب للإعتذار إليه لكن أرجوك لا داعي لقرار الفصل هذا.

قال المدير دون أن ينظر إلى الدكتور محمود: انتهى الموضوع يا دكتور محمود. لقد اتخذت إدارة المدرسة قرارها بفصل ولدك في نهاية الموسم الدراسي، وانتهى الأمر.

نظر محمود إلى أدهم بآسف بينما ظل الطفل أدهم ينظر إلى المدير بقسوة وغضب.

******

داخل شقتهما الفاخرة بحي الزمالك وقف الطفل أدهم يبكي بشدة أمام والده الذي أمسك في يده حزام بنطاله وظل يضربه به ضرباً مبرحاً، وصرخ أدهم بشدة فأتت إليهما نادية والدة أدهم المرأة الحسناء الفاتنة رشيقة القوام، والتي في منتصف الثلاثينات من عمرها لكنها تبدو لمن يراها كما لو

كانت في منتصف العشرينيات من عمرها لاهتمامها الزائد بجمالها الفاتن، وهي تشارك زوجها إدارة الصيدلية الكبيرة التي يمتلكاها في وسط البلد.

أمسكت نادية والدة أدهم يد زوجها الممسكة بالحزام وقالت منفعلة: ألن تنتهي من تلك المعاملة القاسية لأدهم يا محمود؟

قال محمود منفعلا: وكيف تريدين مني أن أعامله وقد حطم نظارة معلمه مما جعل الأستاذ عبد الحميد يقرر فصله.

قالت نادية منفعلة: الأستاذ عبد الحميد يضخم الأمور دائماً. من فضلك دع أدهم وأنا سأفهم منه ما حدث بالضبط، وسأذهب بنفسي غداً للأستاذ عبد الحميد لأتفاهم معه.

قال محمود بإستياء شديد: أنا لا أرى داعي لذهابك إلى الأستاذ عبد الحميد فهو مصر على فصل أدهم، وهو محق في ذلك. فما الذي يجبره على إبقاء مثل هذا الطالب المتنمر الغبي في مدرسته؟

قالت نادية منفعلة: من فضلك يا محمود لا توصم أدهم بتلك الصفات.

قال محمود: لست أدرى ما الذي حدث أبدل حال هذا الولد هكذا؟ مؤكد بسبب أفلام العنف والمصارعة التي يشاهدها. لقد أخطأت بموافقتك على وضع جهاز الكمبيوتر في غرفته.

نظرت نادية إلى ابنها وقالت له: أرأيت يا أدهوم كيف أغضبت تصرفاتك والدك؟ هيا اعتذر له، واخبره إنك لن تغضبه مرة أخرى.

نظر أدهم إلى والده ببراءة وقال: أعتذر لك يا أبي. لن أفعل ما يغضبك مرة أخرى.

قال محمود بحزم وجدية: حسناً. هيا ادخل توضأ لنصلي العصر.

وقف أدهم ساكناً وقد تجهم وجهه فصاح به والده:

_ لماذا تقف هكذا؟ هيا تحرك.

تحرك أدهم، وغادر والديه، وعلى وجهه علامات غضب شديدة.

******

في غرفة نومهما رقد محمود وزوجته نادية على الفراش، وتملك الحزن وجه محمود فقالت له نادية: لماذا تبدو حزيناً؟

قال محمود بحزن: لقد تذكرت كوثر ونادين ابنتاي الحبيبتان رحمهما الله وتذكرت أدبهما ورقتهما فكنا لا نكاد نسمع لهما حساً، وكانت الفتاتان محبوبتان من كل معلميهما بعكس هذا الولد الغبي.

امتعضت نادية، ونظرت إلى زوجها ثم قالت بحزن: أرجوك لا داع لتذكرني بتلك الحادثة المشئومة.

قال محمود بحزن عميق: لقد كان الحادث خطأ منا فلم يكن المفروض أن ننام قبل أن نتأكد من إطفاء الشموع ولكن للآسف نمنا وأحرقت الشموع الغرفة وكل شيء.

وانهار محمود في البكاء، وقالت نادية بحزن شديد: لقد اكتشف أدهم حبيبي الحريق، ولقد صدم صدمة قوية وهو يرى شقيقاته تحترقان.

قال محمود والدموع تنساب من عينيه: لقد كان عمره وقت ذاك عشرة أعوام، وبالفعل حزن على الفتاتان حزناً شديداً.

قالت نادية: أرجوك يا محمود كف عن ذكر هذا الموضوع، ومن فضلك اجعل معاملتك لأدهم أفضل من ذلك. اجعله يحبك يا محمود. أنا أخشى أن يكرهك الولد بسبب معاملتك له.

قال محمود محاولاً كسب ود زوجته: أنا أفعل ذلك لأصنع منه رجلاً محترماً ذو شأن يا نادية.

قالت ناديه بعصبية: ليس بهذا الأسلوب يا محمود. أنت دائماً تقسو على أدهم حتى في وجود الفتاتان الراحلتان كنت تعامله بقسوة وتعامل الفتاتان برفق ومودة.

نظر إليها محمود دون أن يتكلم ثم هبط أسفل الغطاء محاولاً النوم هرباً من ذلك الحديث الذي يعيد إليه ذكريات يجاهد بقوة لنسيانها.

******

في الليل اصطحب محمود ونادية أدهم إلى طبيب أمراض نفسية فأخبرهما الطبيب أن أدهم يحتاج فقط لمعاملة طيبة، ويحتاج إلى الاحتواء، وأن لا يتعاملا معه بعنف لأن ذلك هو ما آثر على شخصيته، وطلب منهما الطبيب أن يلعب أدهم لعبة رياضية يخرج بها طاقته، وبالفعل في اليوم التالي قامت نادية بإشراك أدهم في لعبة الكاراتيه بالنادي القريب من حي الزمالك، ولقد ذهبت إلى مدرسة أدهم لتقابل الأستاذ عبد الحميد مدير

المدرسة لتعتذر إليه، وتقدم تبرعاً مالياً إلى المدرسة لكن قوبل ذلك بالرفض، وأصر مدير المدرسة على قراره بفصل أدهم في نهاية العام الدراسي.

بعد ذلك بيومين وقف الدكتور محمود مع زوجته نادية مرتدياً جلباباً أبيض مستعداً لصلاة الجمعة، وأتى إليهما أدهم مرتدياً جلباباً أبيض هو الآخر، وعلى وجهه علامات غضب.

قال محمود بحدة: ما كل هذا التأخير؟ ألا تعلم أن اليوم هو الجمعة، وكان يجب علينا الذهاب للمسجد قبل صعود الإمام إلى المنبر؟

قال أدهم بغضب: أنا لا أريد أن اذهب للمسجد.

صعق محمود من كلام ابنه فقال منفعلاً: ما هذا الذي تقوله؟ أكفرت أم ماذا حل بك؟

صمت أدهم قليلاً ثم قال: الشيخ يتكلم كثيراً ويطول حديثه، وأنا أريد أن أنام.

ضرب محمود كفاً بكف وقال: ما هذا الكلام الفارغ. هيا نذهب للمسجد ثم نم بعد أن نأتي. هيا سر أمامي.

ثم استطرد محمود منفعلاً: هيا.. سار أدهم أمام أبيه متأففاً بينما وقفت نادية تنظر إليه بارتياب. نظرة تحمل العديد من الأسئلة.

بعد انتهاء صلاة الجمعة وقف محمود بجواره أدهم، ومعهما أحد أصدقاء محمود من المنطقة.

قال الصديق بحزن: أعلمت ما حدث للأستاذ عبد الحميد مدير المدرسة؟

قال محمود بقلق: ماذا حدث له؟

قال الصديق بحزن: لقد ذهب إليه ابنه بالأمس فوجده مقتولاً. لكن كيف لم تعلم وابن عمك كامل بيه مفتش المباحث هو الذي تولى تلك القضية.

بدت الدهشة على وجه محمود ثم قال بحزن: لا حول ولا قوة إلا بالله. لم أتحدث مع كامل منذ عدة أيام. ولكن من قتله؟ وكيف حدث ذلك؟

قال الصديق: لقد وجدوا الرجل مشنوقاً، ومعلقاً في حبل كحبل المشنقة.

قال محمود: أعوذ بالله، ولكن لماذا لا يكون قد انتحر ولم يقتل؟

قال الصديق: لا أعرف. أنت الذي ستعرف ذلك من ابن عمك كامل.

وبينما كان الرجل يتحدث كان أدهم يقف وعلى وجهه تجهماً شديداً.

****

عاد محمود وأدهم إلى شقتهما، وقص محمود على زوجته ما أخبره به صديقه عن مقتل مدير المدرسة فحزنت نادية حزناً شديداً، ودلف أدهم إلى حجرته، وأحضر أوراقاً بيضاء كثيرة، وألواناً خشبية، وأخذ يرسم أمه بدقة فائقة، ودخلت عليه والدته وفرحت حينما رأت ذلك وابتسمت ابتسامة واسعة وقالت: أتحبني يا أدهوم؟

قام أدهم باحتضان أمه وقال: طبعاً يا أمي أحبك بشدة.

قالت نادية: وبابا؟

صمت أدهم قليلاً ثم قال: بابا لا يحبني. لذلك أنا أيضاً لا أحبه.

أخذت تداعب شعره الناعم وقالت له: لا تقل ذلك يا أدهوم إنه يحبك ولكن لا يحسن التعبير عن ذلك، وأنت يجب أن تحبه فلا يوجد ابن يكره أباه.

قال أدهم: لا يا أمي إن نظراته لي مليئة بالكراهية ليس بها ذلك الحنان الذي أجده في عيناك عندما تنظرين لي، وأنا لن أحبه طالما يعاملني بهذه القسوة، وكأني لست ابنه.

ربتت على خده وهي متجهمة بينما استطرد هو قائلاً: لقد جعلني أشعر بالفعل أنه ليس أبي، وإنه شخص غريب عني.

قالت نادية: لا تقل ذلك يا أدهم. هو والدك ويحبك، ويريد أن يراك ناجحاً، ويجب عليك أنت أيضاً أن تحبه وتستمع إلى كلامه.

تركها أدهم، وسار نحو فراشه، وتدثر بالغطاء بينما أخذت نادية تنظر إليه وفي عينيها كلام كثير.. كثير للغاية.

****

غادرت نادية الشقة متجهة إلى الصيدلية بينما ظل أدهم داخل غرفته يشاهد أحد أفلام الرعب، ودلف إليه محمود وقال له بأسلوب جاف: ماذا تفعل يا ولد؟

قال أدهم ولم يرفع عيناه عن الشاشة: أشاهد فيلماً.

قال محمود بحدة: ولماذا لا تذاكر؟ أنسيت إنك في الصف الثالث الإعدادي، وينبغي أن تنجح بمجموع كبير؟

قال أدهم: ليس لي غرض للمذاكرة الآن. هل هناك أسئلة أخرى؟

امتعض محمود، وتمالك أعصابه وقال: إذن هيا لنتناول طعام الغداء.

قال أدهم دون أن ينظر إلى والده: لست جائعاً.

لاحظ محمود تركيز أدهم الشديد تجاه شاشة الحاسب الآلي فنظر إلى الشاشة فوجد مشهداً مخيفاً فقال منفعلاً: ألم أنهاك عن مشاهدة تلك الأفلام؟

سار محمود بعصبية نحو جهاز الحاسب الآلي وقام بإغلاقه.

نهض أدهم بعصبية من فوق المقعد الهزاز، ووقف ينظر إلى والده بغضب شديد دون أن يتكلم.

قال محمود بحزم: سأنقل هذا الكمبيوتر إلى الصالة ما دمت مصراً على عدم إطاعتي.

استمر أدهم في النظر إلى والده بغضب شديد فلاحظ محمود ذلك فاستطرد كلامه قائلاً: لماذا تنظر لي هكذا يا ولد؟ لست أدري إلى متى ستظل أبلهاً هكذا؟

ظل أدهم صامتاً لا يرد فاستطرد محمود كلامه قائلاً بحدة: هيا سر أمامي لنذهب لتناول الطعام.

داخل الصيدلية أمسكت نادية بهاتفها المحمول، وقامت بالإتصال بأدهم لتطمئن عليه لكنه لم يجيب عليها فقامت بالإتصال على هاتف محمود لكنه أيضاً لم يجيبها فبدا عليها القلق والتوتر فقال لها أحد الأطباء الذي يعمل بالصيدلية: تبدين قلقة يا دكتورة.

قالت نادية: لست أدري لماذا لا يجيب أدهم ومحمود على اتصالي بهما رغم إني كررت الإتصال بهما عدة مرات.

قال الصيدلي: لعل الأمر خيراً يا دكتور.

قالت نادية: أنا أشعر بالقلق سأذهب إلى البيت لأطمئن.

قال الصيدلي: وكيف ستقودين سيارتك وأنت في هذه الحالة. سأذهب معك، وسيتولى الدكتور عماد والدكتورة نهلة الصيدلية.

قالت نادية: حسناً يا دكتور شريف. بالفعل أنا لا أعرف كيف سأقود السيارة وأنا متوترة هكذا.

ووصلت الدكتورة نادية إلى المبنى الذي تقيم فيه، واستعملت المصعد الكهربائي إلى الدور الذي به الشقة الخاصة بها، وأسرعت في سيرها يتبعها شريف، ولشد ما كانت دهشتها عندما وجدت باب الشقة مفتوحاً على مصراعيه، وما أن دلفت إلى الشقة حتى صدرت منها صرخة عالية فعلى الأرض كان أدهم ملقياً فاقد الوعي، وعلى شعره، وعلى الأرض بقع من الدماء، وجثت بركبتيها جواره وأمسكت برأسه تحاول إفاقته، والدكتور شريف ينظر إليهما مترقباً، وبدأ أدهم يعود إليه وعيه فتحرك الدكتور شريف داخل

الشقة، و فجأة انتفض جسده بشدة فلقد وجد الدكتور محمود ملقياً على الأرض بجوار مائدة الطعام الكبيرة مذبوحاً.

******

جلست نادية شبه منهارة تبك بشدة، وجلس جوارها على أحد مقاعد غرفة الإستقبال المهندس توفيق عم أدهم الذي كان يبكي بكاءً حاراً، في وجود عدد من رجال الشرطة، والبحث الجنائي، وكامل مفتش المباحث الذي تخطى الخامسة والأربعين من عمره، ورغم ذلك مازال محتفظاً بشبابه ووسامته، وهو أيضاً ابن عم الدكتور محمود.

وقف كامل مفتش المباحث محتضناً أدهم الذي وقف يبكي وقد ربطت رأسه بضمادة كبيرة، وأخذ أدهم يقص عليهم ما حدث وقال: بعد أن جلست أنا ووالدي لنتناول الطعام سمعنا رنين جرس الباب فذهبت لأفتح باب الشقة ففوجئت بشخصٍ ملثماً يرتدي قفازات سوداء كمم فمي بيده ثم دفعني بقوة نحو الجدار فارتطمت رأسي به، ولم أشعر بأي شيء بعد ذلك.

وواصل أدهم البكاء فقال كامل بحزن: لا تحزن يا أدهم فسنقبض على ذلك المجرم في أسرع وقت، وتمالكي نفسك يا دكتورة نادية. تمالك نفسك يا توفيق، والحمد لله أن أدهم خرج حياً من هذا الموضوع.

قال المهندس توفيق بحزن وانفعال: أنت لابد أن تقبض على ذلك المجرم يا كامل في أسرع وقت. لابد أن تقبض على من قتل ابن عمك، وأخي الغالي ومثّل في جثته هكذا.

قال كامل: اطمئن يا باشمهندس فمهما كان ذلك المجرم ذكياً وحويطا سوف أعرفه، ولن يهدأ لي بال إلا بعد أن أقبض عليه، ويتم الحكم عليه بالإعدام.

****

الفصل الثاني
بـدايـة حُـب

انتهى أدهم من امتحاناته في الشهادة الإعدادية، وظهرت النتيجة، وعلي غير المتوقع نجح أدهم بتفوق مما أبهر معلميه، وزملائه، وكذلك والدته التي استغلت ذلك التفوق فذهبت إلى إدارة مدرسة أدهم بصحبة المقدم كامل ابن عم زوجها ليقنعاها ببقاء أدهم داخل المدرسة، وبالفعل وافقت إدارة المدرسة على استمرار أدهم بها خاصة بعد أن تعهد المقدم كامل بحسن سلوك أدهم، و خرج الثلاثة من المدرسة، وأصر المقدم كامل على دعوة نادية وأدهم على الغداء فجلس ثلاثتهم داخل إحدى محال الطعام الفاخرة الشهيرة، وكان كامل يعامل أدهم بحب، وحنان، ورفق مما جعل أدهم يميل إليه ويشعر نحوه بعاطفة كان محروماً منها.

ومرت أربع سنوات، ونجح أدهم في سنته الأولى في دراسته داخل كلية الإعلام التي دخلها بعد أن نجح بتفوق في الثانوية العامة، ولقد تبدل حاله تماماً ولم يعد لديه تلك الميول العدوانية التي كانت لديه في السابق، كما بدأ بركان الحب يثور داخل أعماق قلبه فأشعله شوقاً وحنيناً نحو ديما ابنة عمه توفيق التي حضرت مع والديها لزيارته هو ووالدته عدة مرات، وفي أحد أيام الصيف أتى المهندس توفيق لزيارة نادية زوجة أخيه، وابنها أدهم، وكان معه زوجته، وأبناءهما الثلاثة أسامة الطالب بكلية الهندسة، وهاني الطالب

بكلية التجارة، و ديما الفتاة الذكية بديعة الحسن فهي شقراء ذات عيون زرقاء، وجسد رشيق، ولقد نجحت هذا العام بتفوق في الثانوية العامة، ولقد استقبلهم أدهم ووالدته استقبال حار، وكان أدهم كثير النظر في خلسة إلى ديما، وكان كلما نظر إليها كلما ازداد بركان الحب داخل قلبه إنفجارا"، وطلب المهندس توفيق من نادية أن يصطحبها هي وأدهم معه وأسرته إلى مدينة المعمورة بالإسكندرية لقضاء العطلة الصيفية فوافقت نادية على سفر أدهم مع عمه على أن تلحق هي بهما بعد ذلك، وبالفعل سافرت أسرة المهندس توفيق إلى الإسكندرية مصطحبة معها أدهم، وهناك حيث الهواء الساحر الذي يجعل الأبدان تنتشي بنشوة فرح، وسعادة لا مثيل لها، والذي يملئ القلوب عشقاً لتلك المدينة الجميلة الساحرة التي تلهم الشعراء أرقى أشعارهم، والرسامون أجمل لوحاتهم كما أنها تقذف الحب في القلوب قذفاً، ولا يستطيع أي شخص كان مقاومة هذا الحب أبداً، واصل بركان الحب انفجاراته وثوراته داخل قلب أدهم فابتدأ ينظر إلى ديما نظرات مختلفة عن السابق. ابتدأ يشعر بآلام الفراق عندما يحين موعد النوم ويذهب كل منهما إلى غرفته، ابتدأ يشعر بالاشتياق، والحنين إليها في كل لحظة تبتعد فيها عنه. ولأول مرة جلس أدهم أمام التلفاز يستمع إلى أغنية يشدو بها عبد الحليم حافظ، وهي أغنية جواب التي يشدو بها العندليب في فيلم البنات والصيف.

أخذ أدهم يستمع الي الأغنية بإمعان شديد، وتارة ينظر إلى التلفاز، وتارة ينظر إلى ديما التي كانت هي ووالديها وشقيقاها يجلسون يشاهدون الفيلم.

كان أدهم يختلس النظرات إلى ديما خشية أن يلاحظ أحد أفراد أسرتها تلك النظرات المؤججة بنار الحب، وبينما هو ينظر إليها بمكر رأها هي الأخرى تنظر إليه فالتقت عيناهما، وفوجئ أدهم بابتسامة ساحرة منها ألهبت وجدانه، وأججت عاطفته، ومن هنا تملك الجوىّ من أدهم وأصبح قلبه ملعباً كبيراً تلهو به الأشواق، والحنين، والغيرة.

الغيرة من خالد ابن صديق المهندس توفيق، وخالد شاب وسيم، وهو طالب في كلية الهندسة، وتقيم أسرة خالد في الشقة المجاورة لشقة عائلة المهندس توفيق، وكانت الأسرتان أسرة المهندس توفيق وأسرة والد خالد لا يفترقان فهم يذهبون للبحر معاً، وفي الليل يخرجون للتنزه معاً.

بعد أن انتهت أغنية عبد الحليم حافظ جال بخاطر أدهم أن يكتب خطاباً إلى ديما، وبالفعل قام أدهم بشراء كراسة عادية، وقلم، واختلي بنفسه في الغرفة الخاصة به هو وأسامه، وهاني، وجلس يكتب الخطاب، وبينما هو يكتب دخلت عليه ديما فارتبك أدهم وقام بإخفاء الخطاب خلف ظهره.

قالت ديما وهي تبتسم: ماذا تفعل هنا في الغرفة بمفردك، وماذا تخفي خلف ظهرك؟

أرتبك أدهم وقال: ولماذا تسألين؟ هذا شيء لا يخصك.

قالت له وعيناها تحاول صيد عيناه التي يهرب بها بعيداً:

_ حسناً. لماذا إذن كنت تنظرلي ونحن نشاهد الفيلم؟

لوهلة نظر إلى عينيها لكنه لم يتحمل بريقهما فهرب بنظره بعيداً عنهما وقال: ألم تكوني أنت أيضاً تنظرين لي. فلماذا؟

شعرت ديما بحرج فقامت بتغيير دفة الحديث وقالت: أتحب عبد الحليم حافظ؟

ابتسم أدهم وقال: هذه هي المرة الأولى التي أسمعه فيها ولكني أحببته.

قالت ديما وقد تمكنت عينيها من اصطياد عينيه: أنا أيضاً لم أسمع له من قبل، ولكن يبدو أني سأسمعه كثيراً بعد ذلك، والآن هيا أخبرني ماذا تخفي خلف ظهرك.

ارتبك أدهم وقال: لا لن أخبرك.

قالت بابتسامة جذابة: عامة أنا أعرف ما الذي تخفيه.

ابتسم أدهم بسخرية وقال: حقاً؟ أخبريني إذن ماذا أخفي خلف ظهري إن كنت ذكية.

قالت ديما بثقة:

_ خطاب. أنت تخفي خلف ظهرك خطاب.

****

داخل صيدلية الدكتورة نادية التي وقفت تتحدث مع أحد عملاء الصيدلية بينما مساعديها الثلاثة ينشغل كل منهم في عمل مع المترددين على الصيدلية.

انصرف الشخص الذي كان يقف مع الدكتورة نادية، وأمسكت هي سماعة الهاتف الأرضي، وأخذت تتحدث مع أحد شركات الأدوية بخصوص بعض الأدوية الناقصة والمطلوبة للصيدلية، وبينما هي تتحدث في الهاتف دخل إلى الصيدلية رجلاً غريباً يرتدي معطفاً أسود، وهو رجلاً وسيماً ذو ملامح جادة. دخل الرجل إلى الصيدلية وتجول بها، والجمود يرتسم على وجهه ثم اتجه نحو نادية التي لم تراه بسبب انشغالها في المكالمة الهاتفية، وأخيراً أنهت نادية المكالمة فاقترب منها الرجل وقال مبتسماً: مساء الخير يا دكتورة نادية.

رأت نادية الرجل فظهر عليها الارتباك الشديد، وظلت صامتة لا تعرف ماذا تقول فاستطرد الرجل قائلاً: كيف حالك يا دكتورة؟

امتعضت نادية، وقالت بصوت هامس: أنت؟! ما الذي أتى بك إلى هنا؟

قال الرجل الغريب بصوت خفيض: اشتفت إليك. مضت عدة سنوات على آخر لقاء لنا، ترى ماذا فعلت بدوني خلال تلك الفترة، وكيف حال أدهم؟

ظهر الغضب على وجه نادية، وقالت وهي تكتم انفعالها حتى لا يلاحظ موظفو الصيدلية شيئاً: أنت ليس لك شأن بأدهم. أخرجه من راسك تماماً أفهمت؟

ابتسم الرجل الغريب ابتسامة سخرية وقال: ليس لي شأن بأدهم وأخرجه من رأسي. أوامرك مطاعة يا سيدتي.

ثم استطرد الرجل بصوت غليظ: هذا في أحلامك فقط.

بدا الذعر على وجه نادية ثم سار الرجل، وغادر الصيدلية بينما ظلت نادية شاردة وارتسم القلق على وجهها فقال لها الدكتور شريف مساعدها: ماذا كان يريد ذلك الرجل يا دكتور؟

خرجت نادية من شرودها وقالت بتوتروارتباك: لا شيء. لا تهتم.

****

بدا الاندهاش على وجه أدهم وقال لديما: ما هذا؟ كيف عرفت ما أخفيه خلف ظهري؟

ضحكت ديما وأشارت إلى الكراسة، والقلم الموضوعان على المكتب الصغير أمام أدهم وقالت: هذه الكراسة، وهذا القلم وتركيزك في أغنية عبد الحليم. مؤكد كنت تكتب خطاباً.

قال أدهم: حسناً أيتها الذكية، هيا أكملي عبقريتك، وأخبريني لمن كنت أكتب الخطاب؟

ابتسمت ابتسامة رقيقة، ونظرت إلى عيني أدهم وقالت: مؤكد لمن تحبها.

قالتها وتحركت لتغادر الغرفة بينما وقف أدهم يتابعها بعينيه، ودقات قلبه تتزايد وتكاد تصرخ قائلة: أرجوك لا تذهبي. أرجوك أبقي معي.

في الصباح الباكر وصلت الدكتورة نادية إلى شقة المهندس توفيق في المعمورة، ورحب بها الجميع ترحاباً شديداً، وفرح أدهم بقدومها كثيراً، وجلس الجميع سوياً يتناولون طعام الإفطار ثم اتجهوا جميعاً إلى شاطئ البحر، وهناك التقوا بصديق المهندس توفيق وأسرته، وسريعاً اتجه جميع الأبناء إلى البحر، وأخذ أدهم يمرح مع ابني عمه أسامة، وهاني بينما بالقرب منهم كانت ديما وخالد ابن صديق والدها يقذفان بعضهما بالماء، ويضحكان بشدة، وقام خالد بحملها وقذفها في البحر، وشاهد أدهم هذا فغضب، ووقف ينظر إلى خالد نظرات غاضبة مخيفه ثم خرج من البحر، وبعيداً عنهم وقف الرجل الغريب ذو المعطف الأسود على الشاطئ يتابع ما يحدث.

خرج الجميع من البحر وجلسوا على الشاطئ وارتدت ديما روباً فوق لباس البحر، وبحثت بعينيها عن أدهم فوجدته انعزل عن الجميع، وجلس بعيداً وحيداً يبدو عليه الحزن فذهبت إليه مبتسمة وقالت: لماذا تجلس بعيداً هكذا؟

لم يجيبها أدهم فاستطردت ديما كلامها وقالت: لماذا لا تتحدث؟

واصل أدهم صمته فاستطردت ديما مرة أخرى وقالت: يبدو إنك غاضباً من شيء. أخبرني من الذي أغضبك؟

نظر إليها أدهم ونهض من مجلسه وسار مبتعداً عنها فنظرت إليه دهشة ثم أسرعت خلفه، وبالفعل لحقت به، ووقفت أمامه فأشاح بوجهه عنها لكنها قالت منفعلة: لماذا تتصرف هكذا؟ ولماذا لا تنظر لي؟ هيا أخبرني ماذا يغضبك.

قال أدهم منفعلاً: وهل تظنيني جماداً ليس لديه مشاعر حتى لا أغضب وأنا أرى هذا الذي أسمه خالد يحملك وأنت في قمة السعادة معه؟

وضعت ديما يديها على خاصرتيها وقالت بجدية: وما الذي يغضبك من شيء كهذا؟

نظر أدهم إلى عينيها فالتقت أعينهما للحظات أفصحت فيها الأعين عما يختلج في قلبهما، ولكن أدهم سار مبتعداً عن ديما وهو يقول: فتاة غبية.

ركضت ديما خلفه حتى وصلت إليه ووقفت أمامه قائلة: أنا لست غبية، ولكنك أنت الذي لا تجرؤ على قول سبب غضبك من تصرفات خالد معي.

قال أدهم منفعلاً: وفي رأيك ما الذي يجعلني غاضباً من شيء كهذا؟

نظرت إلى عيناه وقالت بصوت هادئ: هل تحبني يا أدهم؟

اضطرب قلبه بشدة فور سماعه هذا السؤال، وسبح بعينيه داخل عينيها الزرقاوان، وقال بصوت حنون: نعم أحبك. أحبك يا ديما.

ابتسمت ديما وقالت: أحقاً تحبني يا أدهم؟

قال أدهم: بل أذوب بك عشقاً، ولكن يبدو أنك تحبين ذلك المدعو خالد.

مالت برأسها للأسفل، ونظرت إلى رمال الشاطئ وقالت بخجل: لا يا أدهم.. أنا أحبك انت.

تهلل وجه أدهم فرحاً وقال بسعادة: تحبيني؟ أتحبينني حقاً؟

قالت ديما وهي تنظر إلى عيناه: كنت أظنك تعرف ذلك مثلما كنت أعرف إنك تحبني.

قال أدهم: وهل كنت تعلمين إني أحبك؟

قالت ديما مبتسمة: كل نظراتك لي كانت تخبرني إنك تحبني، وكنت أظن أن عيناي أخبرتك إني أيضاً أحبك، ولكنك كنت غبياً لا تفهم حديث العيون.

قال أدهم بجدية: وطالما تحبيني لماذا تتصرفين هكذا مع خالد؟

ابتسمت ديما ابتسامة واسعة وقالت: يبدو إنني أحببت شخصاً غبياً بالفعل. لقد كنت أفعل ذلك فقط لإثارة غيرتك أيها الذكي، وها قد نجحت خطتي.

قال أدهم مبتسماً: يا لك من خبيثة يا حبيبتي.

ووصل إليهما نداء أسامة عليهما فأخرجهما مما هما فيه، وسار الإثنان متجهان إلى حيث تجلس العائلة.

******

في المساء أصر الشباب أن يذهبوا إلى مدينة الملاهي فرضخت لهم الأسرتان، وهناك أخذ خالد يتقرب ويتودد إلى ديما لكنها كانت تصده وتبتعد عنه حتى لا يغضب أدهم، ولكن خالد الذي بدا عليه حب ديما لم يبالي بذلك الصد، واستمر في محاولاته التقرب إليها فقام بشراء لعبة من الفرو على هيئة دب أحمر اللون، وذهب ليعطيه لها فلم تستطيع ديما أن ترد هديته، وشكرته مبتسمة، وأخذ الإثنان يتحدثان كثيراً ويضحكان مما أغضب أدهم بشدة، وسار بجوار والدته التي لاحظت تغيره فقامت بمداعبة شعره بحنان.

عادت الأسرتان من الخارج، وتجمعت في شقة المهندس توفيق عم أدهم، وكان الجميع في حالة من السعادة عدا أدهم وديما فلقد قاطع أدهم الكلام معها تماماً فبدا على وجهيهما الحزن، وبينما هم جالسون تطرق حديث والد خالد والمهندس توفيق إلى خالد وديما فقال والد خالد ضاحكاً:

ـ يبدو يا صديقي توفيق أن ابني خالد مال إلى ابنتك ديما، فما رأيك في هذا الموضوع؟

ضحك المهندس توفيق وقال: هذا كلام سابق لأوانه كثيراً يا صالح. ديما انتهت من الثانوية العامة منذ شهر واحد فقط، ومازال أمامها سنوات لتنتهي من تعليمها كما أن خالد مازال طالباً هو الآخر.

قال المهندس صالح والد خالد: الأيام تمر بسرعة يا صديقي، وأنا أريد أنا أزيد أواصر الصداقة بيننا بذلك النسب.

قال المهندس توفيق مبتسماً: طبعاً ذلك يسعدني فأين سنجد أفضل من خالد.

قال صالح: لكن أرجو أن ديما حينئذ توافق ولا تعترض.

قال المهندس توفيق: أنت لا تعرفني جيداً يا صالح فأنا عندما أتخذ قراراً فلا مجال للمناقشة، وديما مؤكد ستنصاع لأمر أنا قد قررته.

قال صالح ضاحكاً: أنت ديكتاتور إذن يا صديقي؟

قالت زوجة المهندس توفيق: للأسف هو فعلاً كذلك، وطوال سنوات زواجنا لم أستطيع إثنائه عن قرار واحد.

قال صالح مبتسماً محدثاً ابنه خالد: فلتسعد يا بني فستكون ديما زوجة لك مادام عمك المهندس توفيق راضياً عنك.

بدا عدم الرضا من ذلك الحديث على وجه ديما فغادرت المكان، ودلفت إلى غرفتها، وكذلك فعل أدهم، وجلس على حافة فراشه مهموماً حزيناً، ودخلت عليه والدته وأغلقت الباب، واتجهت إليه واحتضنته قائلة:

_ أنا أعلم إنك تحب ديما، ولقد أغضبك كلام عمك مع والد خالد. لكن لا تهتم يا حبيبي بذلك الكلام فلو كانت ديما تحبك مثلما تحبها فلن يستطيع العالم كله أن يفرق بينكما.

في صباح اليوم التالي جلست عائلة المهندس توفيق تتناول طعام الإفطار، وبينهم جلس أدهم ووالدته الدكتورة نادية، وبينما هم كذلك رن هاتف المهندس توفيق المحمول فقام بالرد، وظهرت الدهشة، والحزن على وجهه وهو يستمع إلى صراخ المهندس صالح والد خالد الذي يحدثه ثم وضع الهاتف جواره وهو في حالة من الدهشة والحزن الشديد وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله. إنا لله وإنا إليه راجعون.

نظر إليه الجميع بقلق، وسألته زوجته قائلة بقلق: ماذا حدث يا توفيق؟

قال المهندس توفيق بحزن شديد: لقد قتل خالد.

صرخت ديما ووالدتها بينما ارتسمت الدهشة على الآخرين.

وقالت الدكتورة نادية بدهشة شديدة: قتل؟ كيف ذلك؟ ومن الذي قتله؟

قال توفيق بحزن: لم يخبرني صالح. والآن سأذهب إليه لأقف بجواره في تلك المصيبة.

خيم الحزن على أسرة المهندس توفيق كما خيم على أدهم، ووالدته، وجلس الجميع في غرفة الإستقبال في انتظار عودة المهندس توفيق ليقص عليهم ما حدث، وعاد إليهم المهندس توفيق حزيناً فقالت له زوجته: ما الذي حدث بالضبط يا توفيق، ومن الذي قتل خالد؟

جلس المهندس توفيق وزفر أنفاساً حارة ثم قال، والجميع ينظر إليه مترقبين ما سيقوله: يبدو أنه لص دخل إلى غرفة خالد أخذ يعبث بمحتويات غرفته فرأه خالد، واشتبك معه فقام اللص بطعنه بسكين حاد عدة طعنات أودته قتيلاً.. قالت الدكتورة نادية: وكيف عرفت الشرطة أن من فعل ذلك لصاً؟

قال توفيق: لقد وجدوا محتويات غرفة خالد مبعثرة كما وجدوا خالد ملقياً في وسط الغرفة. كما قال المهندس صالح إنه كان يضع مبلغاً من المال داخل حقيبة جلدية صغيرة، وأن تلك الحقيبة اختفت.

نهض المهندس توفيق، ودلف إلى حجرته، وتبعته زوجته، وغادرت الدكتورة نادية غرفة الإستقبال وكذلك أسامة، وهاني بينما ظل أدهم جالساً، وبالقرب منه جلست ديما حزينة تنظر إلى أدهم وقالت له: أحزين على خالد يا أدهم؟

قال أدهم والحزن يكسي وجهه: بالطبع حزين عليه. نعم كنت أغضب منه لكنه لا يستحق أن يموت هكذا وفي عمره هذا.

الفصل الثالث

المغـــــرور

قررت الدكتورة نادية أن تقيم حفل عيد ميلاد أدهم، وتدعو كل أفراد العائلة، وامتلأت شقة الدكتورة نادية بالزينات الورقية الملونة والبالونات للإحتفال بعيد ميلاد أدهم، وحضر إلى الحفل عمه المهندس توفيق وزوجته وأبناؤه الثلاثة، وكذلك حضر العميد كامل وزوجته ونجليهما حمزة وجومانة. حمزة الطالب في السنة النهائية بكلية الشرطة، وهو شاب وسيم ذو جسد رياضي قوي به سمات العظمة والتكبر والغرور، أما جومانة فهي في مثل سن ديما وهي فتاة حسناء جمالها من النوع الفاتن المثير، وكان من ضمن الحاضرين لحفل عيد الميلاد الرجل الغريب ذو البالطو الأسود الذي كان مكتفياً بالنظر ومتابعة الحاضرين للحفل، ولم يتحدث أو يتفوه بكلمة واحدة مع أي من المدعوين أو حتى نادية وأدهم.

كان الجميع في واد وأدهم وديما في واد أخر فلقد أخذ الإثنان يختلسان نظرات الحب والهيام دون أن يلاحظ أي من الحاضرين شيئاً باستثناء الرجل الغريب ذو البالطو الأسود كان هو الوحيد الذي لاحظ ذلك، وعلى وجهه ارتسم غضب شديد، وانتهى حفل عيد الميلاد، وانصرف الجميع عدا الرجل الغريب الذي دخل إلى شرفة الشقة وأخذ يتابع بنظره حركة السير في ذلك الحي الراقي، وفجأة تصادما سيارتان في بعضهما فظهرت ابتسامة واسعة على شفتي الرجل.

دخل أدهم غرفته بينما اتجهت نادية إلى الصالة لضبطها وبينما تقوم بحمل بعض الأطباق أتى الرجل الغريب من خلفها قائلاً:

_ عيد مولد سعيد يا نادية.

فزعت الدكتورة نادية، وسقطت الأطباق من يدها ثم نظرت إليه قائلة بغضب: أهو أنت؟

قال الرجل مبتسماً:أأفزعتك يا حبيبتي؟

امتعضت نادية وقالت بصوت مكتوم: أريد أن أعرف ما الذي آتى بك إلى هنا اليوم؟

قال الرجل: مثلما جاء الجميع. جئت لأحتفل بعيد ميلاد أدهم.

تجهم وجه نادية وقالت بغضب: أنت ماذا تريد بالضبط؟

جلس أدهم في غرفته يتفحص الهدايا التي جاءته ثم أمسك في يده كارتاً جميلاً.

هذا الكارت الذي أعطته له ديما خلسة بعيداً عن أعين الحاضرين.

فتح أدهم الكارت وأخذ يقرأ ما كتبته له ديما..

أنا بعشقك أنا.. أنا كلي لك أنا.. يا من ملك روحي بهواه. الأمر لك طول الحياة. الماضي لك وبكرة لك وبعده لك. وأنا فسهادي وفمنامي بسألك. بتحبني ولا الهوى عمره ما زارك.. بتحبني ولا انكتب عالقلب نارك.. قول يا حبيبي. قول يا ملك.

ابتسم أدهم ابتسامة واسعة، ورن هاتفه المحمول فالتقطه بسرعة، وقام بالرد فوصل إليه صوت المطربة ميادة الحناوي وهي تشدو بهذه الأغنية الرائعة (أنا بعشقك).

أخذ أدهم يستمع إلى الأغنية حتى وصلت إلى جملة (وانا فسهادي وفمنامي بسألك) أطفأت ديما الأغنية، وأخذت تغني هي بصوتها الدافئ الحنون: بتحبني ولا الهوى عمره ما زارك.. بتحبني ولا انكتب عالقلب نارك. قول يا حبيبي حبيبي.. قول. قول يا ملك.

قال أدهم مبتسماً: بحبك وبموت فيك.

قالت ديما بصوت دافئ: وأنا أيضاً أحبك يا أدهوم.

انفعلت نادية على الرجل الغريب وقالت: من فضلك انصرف الآن.

قال الرجل بغضب: أتطرديني من بيتك؟ قالت نادية:

_ أرجوك ابتعد عنا، ودعنا نعيش حياتنا في هدوء.

قال الرجل: وماذا عن أدهم ألا يجب أن نسأله هل يود أن أبتعد عنه أم لا؟

قالت نادية بغضب: حذارِ أن تقترب من أدهم. أتفهم حذارِ.

في بيت العميد كامل جلس حمزة في غرفته ومعه شقيقته جومانة.

قال حمزة: أرأيت يا جومانة كيف صارت ديما رائعة الجمال؟

ضحكت جومانة وقالت: هل وقعت في غرامها يا أخي أم ماذا؟

قال حمزة بغرور: لا. أنا فقط معجب بجمالها ليس أكثر.

قالت جومانة: معك حق ديما فعلاً رائعة الجمال.

قال حمزة وهو يضع يده على كتف شقيقته: ما رأيك لو اتصلت بها الآن، ولكن ماذا سأقول لها؟

قالت جومانة: قل لها ما تشعر به.

قال حمزة: حسناً اتصلي بها من هاتفك. حدثيها أنت أولاً ثم اعطيها لي.

وبالفعل أمسكت جومانة هاتفها المحمول، وقامت بالإتصال بديما.

استمرت مكالمة ديما مع أدهم على الهاتف، ووصل إليهما صوت رنين داخل مكالمتهما..

قال أدهم دهشاً: يبدو أن هناك من يتصل بك.

قالت ديما: انتظر لأرى من.

ألقت ديما نظرة على شاشة الهاتف فتملكتها الدهشة ثم قالت لأدهم: إنها جومانة ابنة عمي كامل تتصل بي. غريب أن تتصل بي في هذا الوقت.

بدون اهتمام قال أدهم: جومانة. إنها فتاة لطيفة عكس أخيها الذي يتملكه الغرور.

قالت ديما بجدية: ما هذا الذي قلته يا أدهم. هل جننت؟

قال أدهم دهشاً: جننت!؟ لماذا قلت هذا يا ديما؟

قالت ديما بجدية: أنظر يا أدهم طالما أنا أحبك وأنت تحبني فأنا لن أقبل أن تمتدح أي فتاة أخرى أمامي.

دهش أدهم وقال: ما هذه اللهجة التي تتحدثين بها يا ديما؟

قالت ديما: هناك مواضيع لا يجب التحدث فيها إلا بهذه الطريقة يا أدهم حتى نكون حاسمين فيها.

قال أدهم: ولكن أنا لا أحب أن يكلمني أحد بتلك الطريقة.

قالت ديما: أعذرني يا أدهم فأنا أحبك بشدة، وأغار عليك.

****

في الصباح التالي استيقظت ديما على صوت رنين هاتفها المحمول فأمسكت الهاتف وهي ما زالت ترقد على فراشها، ونظرت إلى شاشته فوجدت أسم جومانة فلمست زر الرد وقالت بصوت ضعيف يغلب عليه النوم: صباح الخير يا جومانة.

ضحكت جومانة وقالت: صباح الخير. أما زلت نائمة حتى الآن؟

قالت ديما وهي مغمضة العينين: لقد نمت متأخرة تلك الليلة. لكن ما الذي أوقظك أنت مبكراً هكذا؟

ضحكت جومانة وقالت: مبكراً. الساعة تخطت الثانية بعد الظهر. لقد صرت كسولة يا ديما. المهم هناك شخص يريد أن يتحدث معك.

قالت ديما دهشة: شخص من هذا؟

قالت جومانة: أخي حمزة. منذ أن عدنا إلى شقتنا بالأمس ولسانه لم يكف عن ذكرك، وكان يريد أن يحدثك على الهاتف، ولكننا وجدنا هاتفك مشغولاً، وظل هكذا لفترة طويلة فمع من كنت تتحدثين كل هذا الحديث؟

ارتبكت ديما وقالت: لقد كانت إحدى زميلاتي، ولكنها ثرثارة تحب الكلام.

قالت جومانة: حسناً. خذي أخي حمزة يريد أن يحدثك فهو يجذب مني الهاتف بقوة.

تساءلت ديما بينها وبين نفسها قائلة: (حمزة! ترى ماذا يريد هذا المتغطرس شبيه الديك الرومي؟).

أخرجها حمزة من شرودها ووصل صوته إليها قائلاً: صباح الخير يا ديما.

قالت ديما: صباح الخير يا حمزة. جومي تقول إنك كنت تريد التحدث معي بالأمس فهل هناك شيء؟

شعر حمزة بالإرتباك، وسرعة شديدة في دقات قلبه فأشاح بيده لجومانة أن تخرج من الغرفة فأطاعته، وخرجت من الغرفة.

وقال حمزة مرتبكاً: أنت تعلمين إنني الآن طالب في السنة النهائية بكلية الشرطة، وسوف أصير ضابطاً.

قالت ديما بسخرية: بالطبع يا حمزة ما دمت طالباً في كلية الشرطة سوف تصير ضابطاً أم أن كلية الشرطة صار يتخرج منها مهن أخرى؟

ضحك حمزة وقال: أنا فقط أريد أن أخبرك إني سأكون رجلاً مهماً.

ضحكت ديما وقالت: حسناً أيها الرجل المهم أرجو أن تجد مرفت أمين لتتزوجها.

قال حمزة بغرور: رغم إني أشم في كلامك رائحة سخرية لكن بالفعل أنا وجدت مرفت أمين وأحببتها كثيراً وأريد الزواج منها.

ضحكت ديما وقالت: يبدو إنك جننت. تريد الزواج من مرفت أمين. إنها في عمر والدتك.

قال حمزة: لست أدري هل تمثلين الغباء أم إنك هكذا بالفعل؟ أنا واثق إنك تفهمين ما أقصده جيداً يا ديما.

قالت ديما بغضب: أنا لست غبية يا حمزة، وأنت الذي لست واضحاً. فمن فضلك قل ماذا تريد.

قال حمزة: يبدو إني قد أغضبتك. عامة سأقول لك شيئاً سيدخل السعادة إلى قلبك فاستعدي لتلك المفاجأة.

قالت ديما دهشة: مفاجأة ستدخل السعادة إلى قلبي، هل ستنهي المكالمة الآن، وتدعني أكمل نومي؟

قال حمزة: لا أيتها الظريفة. ديما.. أنا أحبك، وأريد أن أتزوجك.

سادت لحظات من الصمت بين الطرفين ثم استطرد حمزة كلامه قائلاً: لماذا صمت هكذا يا ديما؟

بهدوء قالت ديما: ألا ترى إننا ما زلنا صغاراً على هذا الحديث يا حمزة؟ فأنت مازلت طالباً، وكذلك أنا.

قال حمزة: نحن لن نتزوج الآن بالطبع، ولكني أخبرك إني أحبك وهذا ليس له شأن بعمرنا.

امتعضت ديما وقالت: صراحة يا حمزة أنا لا أفكر الآن سوى في مذاكرتي، وأمور الحب هذه ليست في تفكيري الآن نهائياً. فدعنا نكون أقارب وأصدقاء فقط.

امتعض حمزة وقال بغضب: لا تفكرين سوى في مذاكرتك أم أن هناك شخص آخر؟

قالت ديما بحدة: من فضلك يا حمزة لا تحدثني بذلك الأسلوب فخصوصيتي ليست من شأنك.

قال حمزة: فليكن. أخبريني إذن من الذي كنت تتحدثين معه بالأمس لأكثر من ساعتين.

قالت ديما بعصبية: أنت مصر أن تجعلني أنفعل، وأقولها لك مرة ثانية لا شأن لك بخصوصيتي.

قال حمزة بغرور: أنا أريدك فقط أن تعلمي شيئاً. لقد اعتدت على أن الشيء الذي أريده لابد أن أحصل عليه، وأنا مادمت أريدك فتأكدي إنك لن تكوني لشخص آخر غيري أبداً.

أغلقت ديما الهاتف في وجه حمزة، وقالت متأففة محدثة نفسها: ولد غبي.

ودخلت جومانة على شقيقها حمزة مبتسمة وقالت:ما الأخبار يا حمزة؟

قال حمزة وهو يضرب قبضة يده اليمنى في راحة يده اليسرى: هذه الفتاة مؤكد على علاقة بشخص آخر فلابد أن أعرف من هذا الشخص الذي ألقاه حظه التعس ليقف أمامي.

****

أنهى أدهم تدريبه في لعبة الكاراتيه، وعاد إلى شقته فأعدت له نادية طعام الغداء ثم ذهبت إلى الصيدلية، وبينما أدهم يتناول طعامه رن جرس الباب، وفتح أدهم فوجد أمامه الرجل الغريب ذو المعطف الأسود يقف مبتسماً وقال: كيف حالك يا أدهم؟ قال أدهم مندهشاً:

_ من حضرتك؟ قال الرجل مبتسماً: ألن تسمح لي بالدخول؟

قال أدهم: أخبرني من أنت أولاً.

قال الرجل: أنا صديق لوالدك. هل ستجعلني أقف هكذا؟

أشار أدهم له بالدخول قائلاً: تفضل.

همت الدكتورة نادية أن تهبط من سيارتها لتدخل إلى الصيدلية لكن فجأة تجهم وجهها، وثبتت على موضعها للحظات ساق داخل السيارة والساق الأخرى خارجها ثم دلفت بكامل جسدها إلى داخل السيارة مرة أخرى، وأغلقت بابها في قوة وانطلقت بالسيارة مسرعة.

قال أدهم مندهشاً: كيف تكون صديق لوالدي ولم أراك من قبل؟

قال الرجل الغريب وهو يتحرك إلى داخل الشقة: لقد كنت مسافراً لفترة طويلة، ولم أعد إلا منذ أشهر قليلة.

ثم جلس الرجل على أحد مقاعد غرفة الإستقبال، ووضع ساق فوق ساق، واستطرد قائلاً: لقد كنت صديقاً حميماً لوالدك قبل أن يتزوج من والدتك،

ولقد فوجئت به يخبرني أنه سيتزوج لكن المفاجأة الكبرى لي كانت بعد ذلك عندما أخبرني أن زوجته أنجبت ولداً.

قال أدهم: ولماذا كان ذلك مفاجأة كبرى لك؟

قال الرجل الغريب: لأنه ببساطة لم يكن مر على زواجهما سوى ستة أشهر فقط لا غير.

قال أدهم منفعلاً: ما هذا التخريف الذي تقوله، وإلى ماذا تلمح بكلامك هذا؟

قال الرجل مبتسماً: اهدأ يا صغيري لم انفعلت هكذا؟ أنا لا أقصد شيء من كلامي فمعجزات الكون لا تنتهي.

قال أدهم بعصبية: أنت ماذا تريد بالضبط؟

هنا دلفت الدكتورة نادية إلى الشقة مسرعة، ورأت الرجل يجلس يتحدث مع أدهم فقالت منفعلة: أنت ماذا تفعل هنا، ومن سمح لك؟

دهش أدهم من أسلوب والدته لكنه ظل صامتاً يتابع الموقف.

قال الرجل مبتسماً: ما هذه المقابلة يا دكتورة. أهكذا تقابلين ضيوفك؟

قالت نادية منفعلة وهي تشير نحو باب الشقة: من فضلك أخرج من الشقة، ولا تأتي إلى هنا مرة ثانية.

نظر إليها الرجل نظرة حادة قوية ثم قال: سأذهب يا دكتورة. سأذهب ولكن تأكدي إننا سنلتقي قريباً جداً، وسأحصل على أمانتي التي تركتها لديك لما يقرب من عشرين عاماً.

وسار الرجل نحو باب الشقة، وأدهم ووالدته يتابعانه ببصرهما حتى خرج من الشقة فقال أدهم: ماذا يقصد هذا الرجل بالأمانة التي تركها لديك منذ عشرين عاماً؟

قالت نادية مرتبكة: لا تهتم بكلام ذاك الرجل، أنه رجل مخبول، ولا تقابله مرة أخرى.

قال أدهم وهو يقف أمام والدته: هذا الرجل يقول إنك أنجبتني بعد فترة حمل ستة أشهر فقط.

قالت الدكتورة نادية بعصبية: إنه كاذب. لقد أنجبتك بالفعل مبكراً ولكن بعد سبعة أشهر وليس كما يدّعي، وللعلم من الممكن أن تنجب امرأة بعد ستة أشهر.

نظر إليها أدهم بصمت للحظات ثم قال: أمي أكان والدي الراحل هو والدي الحقيقي؟

جحظت عيناها بقوة وقالت بغضب: ما هذا الذي تقوله هل جننت؟

ثم أسرعت الخطى إلى خارج الشقة بينما زفر أدهم بقوة وضرب ساقيه بيديه.

****

الفصل الرابع

غـــيرة

أقام العميد كامل احتفالاً بمناسبة تخرج حمزة من كلية الشرطة، وحصوله على النجمة الأولى، ووصوله إلى رتبة ملازم، ووقف حمزة متباهياً مزهواً ببدلته الشرطية بين والده وعدد من زملائه الضباط، والمهندس توفيق، وكانت نظراته معلقة على ديما التي كانت تقف مع شقيقته جومانة التي كانت ذات جمال خلاب مثير بذلك الفستان الأرجواني عاري الصدر والذراعين، وشعرها المنسدل على كاتفيها وتلك العينان ذاتا اللون المائي. أما ديما فكانت تبدو كالأميرة فائقة الحسن ترتدي فستان وردي طويل يظهر رشاقة قوامها، ويبرز معالم جسدها، وشعرها الأصفر الحريري الطويل المسرح على هيئة ذيل الحصان، وتنسدل بعض خصلاته على جبهتها، وتمسك في يدها حقيبة يد صغيرة ذهبية اللون، وسار حمزة متجهاً إليهما وعلى شفتيه ابتسامة واسعة بينما امتعضت ديما، ووصل إليهما حمزة قائلاً: الأميرة ديما تكرمت وحضرت حفلتي. أنا حقاً سعيد الحظ.

تصنعت ديما الابتسامة وقالت: عمي كامل دعانا ولا أستطيع أن أرفض دعوته ثم إني كنت أشتاق لرؤية جومي.

قال حمزة: كنت أظنك جئت لتهنئتي.

قالت ديما: طبعاً أهنئك، وأرجو أن تكون عند تلك المسئولية.

قال حمزة محدثاً شقيقته جومانة: اذهبي يا جومانة إلى أمي يبدو إنها تريدك.

فهمت جومانة إنه يريد الإنفراد بديما فقالت: حسناً. سأذهب إلى أمي.

انصرفت جومانة فقال حمزة: ما رأيك في بدلة الضباط هذه ألا أبدو أنيقاً بها؟

قالت ديما: بالطبع بدلة جميلة أحبها، وأحترمها لكن المهم من سيرتديها كيف سيتعامل بها مع الناس.

قال حمزة: أتقصدين الناس عموماً أم المجرمين؟

قالت ديما: أقصد الناس عموماً. أرجو ألا تتعامل معهم جميعاً وكأنهم مجرمين فتسيء إليهم بإهانة كرامتهم.

قال حمزة مبتسماً: اطمئني لن أكون هكذا أبداً. والآن أخبريني هل مازلت تشعرين إننا صغار؟

قالت ديما: ماذا تقصد؟

قال حمزة: لقد صارحتك من قبل إني احبك فقلت إننا مازلنا صغاراً، والآن أنا صرت ضابطاً، وأنت صرت طالبة جامعية فما رأيك هل أعلن خطوبتنا الآن؟

صمتت ديما للحظات ثم قالت: حمزة أنا لا أفكر في هذا الموضوع في الوقت الحالي مطلقاً. إنني سوف أبدأ أولى خطواتي الجامعية بعد أسبوعين من الآن، وهناك هدف أمامي أريد تحقيقه فأرجوك لا تحدثني في هذا الموضوع مرة أخرى، واجعلنا نكون أخوة وأصدقاء أفضل.

تجهم وجه حمزة لكنه لاحظ ابتسامة واسعة رسمت فجأة على وجه ديما فنظر خلفه فوجد الدكتورة نادية دلفت إلى الشقة للتو وبصحبتها أدهم فعاود النظر إلى ديما وقال: يبدو إنك سعدت كثيراً لحضور هذا الولد المسمى أدهم؟

ارتبكت ديما لكنها قالت: بل سعدت بقدوم طنط نادية. أنت لا تعلم كيف أقدر هذه المرأة وأحبها.

لم يبدو على حمزة أنه اقتنع بذلك لكنه قال: بالفعل هي تستحق.

قالت ديما: استأذنك لأذهب لمصافحتها.

قال حمزة: سأذهب معك.

صار أدهم ممسكاً بهدية نحو العميد كامل الذي استقبله بحماس وحفاوة شديدة مما أدهش حمزة ثم صار العميد كامل وهو ممسكاً بيد أدهم، وذهب إلى نادية، وقام بمصافحتها، ثم جلست نادية بجوار زوجة العميد كامل السيدة ليلى.

بعد أن صافحت ديما الدكتورة نادية وقفت تتحدث مع أدهم وآتى إليهما حمزة فأعطاه أدهم الهدية قائلاً: هدية متواضعة يا حمزة، ومبارك عليك النجمة الأولى.

قال حمزة: مؤكد إنها متواضعة ألم تشتريها من مصروف اليد الذي تعطيه لك والدتك.

بدا الغضب على وجه أدهم، وديما التي قالت: ومن الذي أنفق المال على هذا الحفل أهو أنت أم والدك؟

نظر إليها حمزة ولم يعرف ماذا يقول، وهنا أتت إليهم جومانة، وأمسكت بذراع أدهم وقالت: أدهم كيف حالك، وما أخبارك. منذ عيد ميلادك ونحن لم نلتقي.

نظرت إليها ديما، وإلى يدها التي تمسك ذراع أدهم فتملكتها الدهشة، وبدأت تتسرب إلى قلبها الغيرة، ونظر أدهم نحو ديما وهو يحدث جومانة قائلاً: أنا بخير. مبارك لك النجاح في الثانوية العامة.

قالت جومانة بحماس: لقد قررت الدراسة في كلية الإعلام حتى أكون معك.

لم يجد أدهم ما يقوله فاكتفى بابتسامة بينما قالت ديما: استأذنكم سأذهب للجلوس.

سارت ديما، وسار جوارها حمزة بينما شعر أدهم بغضب ديما فامتعض، وشرد ذهنه لكن أخرجته جومانة من ذلك الشرود قائلة: أخبرني ما رأيك بفستاني هل أبدو فيه جميلة؟

قال أدهم وهو ينظر إلى ديما التي جلست تنظر إليهما، والغضب مرسوم بدقة على وجهها: أنيق جداً فستانك جومانة.

قالت جومانة: وأخبرني هل أبدو به جميلة. أمي قالت إني رائعة الجمال فهل أنا بالفعل كذلك؟

قال أدهم: هو بالفعل يظهر جمالك.

وسقطت عينيه دون قصد على صدرها فقالت ضاحكة: نظراتك الخبيثة واضحة أيها الشقي.

قال أدهم مرتبكاً: لا. لم أقصد ذلك صدقيني. أرجوك لا تفهميني خطأ.

ظلت جومانة على ضحكها وقالت: أنا أعلم ذلك لا تقلق.

****

انتهى الحفل، ووقف حمزة مع شقيقته جومانة قائلاً: شقيقتي العزيزة أسلوبك مع هذا الولد لا يعجبني.

بدت الدهشة على وجه جومانة وقالت: لا أفهم ماذا تقصد. تكلم بوضوح.

قال حمزة: حسناً يا شقيقتي العزيزة. واضح جداً من طريقة تعاملك مع أدهم هذا إنك تميلين إليه.

بدا الارتباك على جومانة وقالت: لماذا تقول هذا!؟ أنا أعامله معاملة طبيعية كما أعامل أسامة وهاني أبناء عمي توفيق.

ضحك حمزة وقال: معاملة طبيعية. يا شقيقتي الحبيبة يبدو إنك تفقدين القدرة على تصرفاتك أمام هذا الولد لدرجة جعلتك لا تشعرين ماذا تفعلين.

بدا الغضب على وجه جومانة وقالت: أنا لا أسمح لك أن تقول عني هذا الكلام. ثم أنت لماذا تتحدث عنه باحتقار هكذا؟

قال حمزة: صراحة أنا لا أهضم هذا الولد، ولا أحبه خاصة بعد أن شعرت إنه ربما تكون هناك علاقة بينه وبين ديما.

قطبت جومانة حاجبيها وقالت: غير معقول. وكيف عرفت ذلك؟

ضحك حمزة وقال: وضحت غيرتك يا شقيقتي لكن لا يهم. هو مجرد شعور ليس أكثر، ولكن لو اتضح أن بينهما علاقة بالفعل فسأنسفه نسفاً.

****

ترقد ديما على فراشها وقد بدا الغضب والانفعال عليها وهي تتحدث مع أدهم عبر الهاتف..

كيف تسمح لها أن تمسك بذراعك وتحدثك بتلك الطريقة؟ لقد شعرت إنها على وشك تقبيلك.

قال أدهم: وماذا كنت أفعل يا ديما. لقد كان شقيقها واقفاً معنا ولم يهتم بالأمر. أكان على أن أدفع ذراعها، وأقول لها لا تتحدثي معي هكذا؟

قالت ديما: يبدو إنك تستخف بما فعلته، وتراه هيناً.

قال أدهم: يا حبيبتي يجب أن تعلمي أن عيني وقلبي لا يرون إلاك، ولا يعشقون سواك فلا داع لهذه الغيرة، وهذا الغضب.

هدأت ديما وقالت: لو كنت تحبني مثلما أحبك ما كنت فعلت ما يغضبني.

قال أدهم: أنا لا أعرف ماذا أقول لأرضيك يا حبيبتي سوى أن عمري فداء للحظة حزن تعيشينها بسببي، ولا عرفت طعم السعادة أبداً مادمت غاضبة مني.

قالت ديما: أرجوك يا أدهم كن لي أنا فقط.

قال أدهم: تأكدي يا حبيبتي إنك تملكيني وقلبي، وأن مفتاح سعادتي بيدك أنت فقط. حتى أنا لا أملكه.

قالت ديما مبتسمة: حسناً. سأسامحك هذه المرة. هذه المرة فقط.

****

وبدأ الموسم الدراسي، وخرجت ديما من كليتها الفنون الجميلة برفقة عدد من زميلاتها، ووجدت أدهم يقف في انتظارها فتركت زميلاتها وذهبت إليه.

_ كيف كان يومك الأول حبيبتي؟

قالت ديما: كان جيداً، وتعرفت على عدد من الزميلات. أخبرني أنت هل التقيت بجومانة اليوم في الجامعة؟ وقل الصدق لا تكذب.

قال أدهم: آه منك حبيبتي ومن غيرتك. نعم يا ديما التقيت بها، ولكنني لم أطيل معها الحديث حتى آتي إليك.

قالت ديما: وفيم تحدثتما؟

قال أدهم بغضب: أتريدين تقريراً يا ديما؟

نظرت إليه بقسوة فقال مستطردً: حسناً. لقد كانت تريدني أن أشرح لها شيئاً لا تفهمه.

قالت ديما بسخرية: تظنك ذكياً. وهل شرحت لها أيها المعلم الخبير؟

نظر إليها ممتعضاً وقال: لا لم أشرح لها شيئاً فلم يسعفني الوقت.

قالت ديما: ولماذا ألم يكن شيء بسيطاً؟

قال أدهم بتردد: هي قالت إنه سيحتاج لوقت طويل، فاقترحت أن نجلس في مكان هادئ لتتمكن من فهم ما سأشرحه لها.

جحظت عينيها، وقالت دهشة: هل ما سمعته الآن حقيقي أم تهيُئات!؟

لم يفهم أدهم ما تقصده فظل صامتاً بينما استطردت هي منفعلة: هل ستلتقيان خارج الجامعة؟

قال أدهم ببراءة: إنها هي التي تريد ذلك.

قالت ديما غاضبة: هي التي تريد ذلك!؟ هيا اذهب إليها. هيا.

أخذت ديما تدفعه دفعات خفيفة فقال أدهم: ديما حبيبتي لا تتصرفي كالأطفال.

ومرت فتاتان من جوارهما قالت إحداهما لأدهم بصوت مسموع: وسيم جداً.

فقال أدهم: أشكرك.

نظرت إليه ديما بدهشة شديدة، ووضعت يداها على خاصرتيها وقالت: ما هذا الذي حدث؟

قال أدهم ببراءة: أنا لم أفعل شيئاً.

قالت ديما وهي تسير مبتعدة عنه: أرجوك لا تأتي خلفي من فضلك.

انصرفت ديما بينما ظل أدهم واقفاً، وزفر نفساً حاراً، وضرب ساقيه بيديه وقال:

_ اللعنة على غيرتك هذه.

****

داخل غرفته جلس أدهم على مقعده الهزاز، وأمسك هاتفه، وقام بالإتصال بديما عدة مرات، لكنها في الأخير ردت عليه قائلة بغضب: نعم. ماذا تريد؟

قال أدهم: أمازلت غاضبة؟ ألا يكفي إنك سرت بمفردك وتركتني.

قالت ديما: إن أردت الصلح معي هناك شرط.

ابتسم أدهم وقال: أمرك مطاع أميرتي. سأنفذ كل شروطك، وأوامرك.

قالت ديما: هل أنت واثق من ذلك؟

قال أدهم: بالطبع حبيبتي حتى لو أردت أن أقفز في النيل سأقفز. فهيا أخبريني ما هو شرطك.

في غرفة حمزة الذي جلس على حافة فراشه دلفت إليه شقيقته جومانة قائلة: ما الشيء الذي كنت تريدني فيه؟

قال حمزة: أريدك أن تذهبي وتشتري هدية لديما لأهديها لها بمناسبة بدء حياتها الجامعية.

قالت جومانة: وكيف ستهديها لها؟

قال حمزة: سأذهب إلى كليتها، وأنتظرها حتى تخرج ثم أهديها لها. أنا أعلم أن الفتيات تحب الهدايا، وربما تلين هديتي قلبها. أنت فقط تحدثيها لتعرفي منها موعد انتهاء يومها الدراسي.

قالت جومانة مبتسمة: أنت تريد مني طلبان إذن. فما هو المقابل؟

قال حمزة: أتبتزين ضابط شرطة؟

ضحكت جومانة وقالت: هنا أنت أخي ويحق لي أن أستغل الظروف. أنظر يا أخي الهدية التي سأحضرها لديما سأحضر لي مثلها. ماذا قلت؟

قال حمزة: وماذا سأقول. أفعلي ما تشائين يا شقيقتي الحبيبة.

صمتت ديما لثواني ثم قالت: أريدك أن تقص شعرك بأكمله، وتصير أصلع الرأس تماماً.

صاح أدهم قائلاً: ماذا؟ ما هذا الذي تقولينه يا ديما؟ هذا غير ممكن أبداً.

قالت ديما: هذا شرطي إن كنت تريد مصالحتي. هيا اثبت لي إنك تحبني كما تدّعي.

قال أدهم: ولكن لماذا هذا الشرط بالذات؟

قالت ديما: شعرك هذا الذي تتباهى به أمام الفتيات يجب أن نتخلص منه.

قال أدهم: يا حبيبتي أنا لا أتباهى ولا أفعل شيئاً صدقيني. ثم إنك لن تحبي رؤيتي وأنا في هذه الصورة.

قالت ديما: أنا أحب أدهم الشخص بروحه وذاته، وليس لجمال هيئته.

قال أدهم: حسناً. ما رأيك أن ارتدي غطاء رأس؟ وصدقيني لن أزيله من رأسي أبداً.

قالت ديما: انتهى النقاش يا أدهم. ومن فضلك لا تريني نفسك إلا وأنت أصلع الرأس.

قال أدهم منفعلاً: هذه ليست طريقة للنقاش أبداً.

أغلقت ديما الهاتف فاستطرد أدهم قائلاً: يا لحظي التعس. أحببت فتاة مجنونة.

****

عادت نادية من الصيدلية، ودلفت إلى شقتها، وبينما تهم أن تغلق باب الشقة فوجئت بالرجل الغريب يدفعه من الخارج، ووقف أمام نادية التي أخذت تنظر إليه بغضب شديد فقال لها: أريد أن أتحدث معك قليلاً يا نادية.

قالت بعصبية: ماذا تريد؟

ابتسم الرجل وقال: أهنا ونحن نقف أمام الباب؟ ماذا سيقول عنك جيرانك لو رأونا هكذا؟

أفسحت له نادية طريقاً لدخوله الشقة قائلة: أدخل، ولكن حاول أن تختصر كلامك.

ابتسم الرجل وقال وهو يسير نحو أريكة غرفة الإستقبال: أهكذا تعاملين ضيوفك؟

مدد الرجل جسده بأكمله على الأريكة حتى قدمه ذات الحذاء فنظرت إليه نادية بغضب شديد وقالت: قل ما تريده بسرعة.

هنا آتى أدهم إليهما فاعتدل الرجل في مجلسه، ونظر أدهم إليه دهشاً وقال: لماذا جاء هذا الرجل إلى هنا مرة ثانية يا أمي ألم تطرديه من قبل؟

نهض الرجل من مجلسه، وسار نحو أدهم قائلاً: لقد شعرت بالخطأ الذي وقعت فيه المرة الماضية، وجئت لأعتذر لك ولوالدتك.

قال أدهم بعصبية: أنا فقط أريد أن أعرف ما الذي كنت تقصده بقولك إنك تفاجأت أن والدتي أنجبتني بعد مضي ستة أشهر فقط، وأيضاً أريد أن أعرف ما هي الأمانة التي تركتها لوالدتي لما يقرب من عشرين عاماً.

صمت أدهم بينما تبادل الرجل ونادية نظرات التهديد والتحدي ثم ابتسم الرجل وقال: لقد اكتشفت إني كنت مخطئاً في حساباتي، وأدركت أن والدتك أنجبتك في الشهر السابع. أما بخصوص الأمانة فهي كانت مبلغاً من المال أقرضته لوالديك حتى يقوما بتجهيز الصيدلية.

قال أدهم: وأين كنت طوال هذه السنوات؟

قال الرجل: لقد سافرت إلى الولايات المتحدة. عملت وتزوجت، وحصلت على الجنسية الأمريكية، وبقيت هناك.

قال أدهم: وكم هو ذلك المبلغ؟

قالت نادية: أنا لا أتذكر أننا أخذنا منه شيئاً. أنه رجل نصاب. هيا انصرف من هنا.

ابتسم الرجل وقال في خبث: أنت تعلمين جيداً إنني لست نصاباً، وإنك مدينة لي. أنظريا أدهم هل يرضيك أن تحرمني والدتك من حق لي عندها؟

امتعضت نادية، ونظرت إلى الرجل بقسوة.

وقال أدهم بحدة: لو كان كلامك صحيحاً فمؤكد أن أمي ستعطيك حقك، ولكن أنا واثق أن أمي لا تكذب أبداً، وإنك تريد أن تحتال علينا.

قال الرجل وهو ينظر إلى نادية بخبث: أحقاً أريد أن أحتال عليكما يا نادية؟

ثم نظر الرجل إلى أدهم واستطرد قائلاً: هل تعلم يا أدهم مقدار حجم ثروتي التي تمكنت من تكوينها في غربتي؟

أخرج الرجل دفتراً ورقياً صغيراً ألقى به إلى أدهم مستطردً: هذا دفتر حسابي الأمريكي يمكنك أن تطلع على رصيدي داخل البنك.

أمسك أدهم دفتر الحساب وأخذ يقرأ به ثم بدت دهشة شديدة على وجهه وقال: أنت ملياردير!

ابتسم الرجل وقال: هل يوجد شخص في الكون يملك كل هذه الأموال ويريد الاحتيال من أجل عشرون ألف جنيه؟ أمك مدينة لي يا أدهم.

صمت أدهم بينما قالت نادية منفعلة: لست مدينة لك بشيء، وكل ما في رأسك وهم.

ابتسم الرجل وقال: حسناً يا نادية إن كنت مصرة على ذلك فأنا لا أريد تلك النقود، ويكفيني إني تعرفت على أدهم، وأرجو أن يتخذني صديقاً له.

قالت نادية بسخرية: أشكرك على كرمك هذا. والآن بمكنك الإنصراف هيا تفضل.

أخذ الرجل ينظر إلى عيني أدهم وهو يقول: حسناً سأنصرف، وأرجو أن تتقبل صداقتي يا أدهم.

ظل أدهم صامتاً بينما عيناه تتلاقى مع عيني الرجل الذي أسرع الخطى في النهاية حتى غادر الشقة.

قالت نادية متأففة: رجل مجنون إياك أن تعطي له فرصة للحديث معك يا أدهم.

صمت أدهم ولم يقل لها أية شيء، وتركته والدته، ودلفت إلى غرفتها بينما حدث أدهم نفسه قائلاً: أنا بالفعل لست مطمئن لذلك الرجل، وأشعر أن الأمر أكبر من كونه أموالاً يدّعي أنه أقرضها لوالدي. حتماً هناك شيء آخر.

****

الفصل الخامس

الزيـــــارة

داخل الجامعة وقف أدهم مع زميل له، ووصل إلى أذنيه نداء جومانة عليه فنظر تجاهها فوجدها قادمة إليه فسار هو إليها.

قالت جومانة: اليوم لن تستطيع الهرب مني. فهيا أختر مكاناً هادئاً يمكنني من استيعاب ما ستشرحه لي.

نظر أدهم في ساعته وقال: ألا يمكنك أن تأجلي هذا الموضوع للغد؟ فأنا لدي مشوار هام للغاية اليوم.

قالت جومانة بغضب: لست أدري لما تهرب مني هكذا؟ أأنا قبيحة ومقززة إلى هذا الحد؟

قال أدهم: بالعكس يا جومانة أنت في غاية الحسن والجمال، وأي شاب يتمنى لقائك والحديث معك ولو لثانية واحدة، ولكني بالفعل لدي موعد هام.

قالت جومانة: لقد تهربت مني بالأمس للسبب نفسه فما قصة تلك المواعيد الهامة؟ أهو موعد غرام؟

قال أدهم مرتبكاً: لا. إنه موعد مع صديق لي.

ضحكت جومانة فنظر إليها أدهم مندهشاً واستطرد قائلاً: لم تضحكين؟

قالت جومانة مبتسمة: تذكرت الموعد الذي سيذهب إليه شقيقي حمزة، والهدية التي اشتريتها له.

قال أدهم مبتسماً: لست أفهم شيئاً.

قالت جومانة: سأحكِ لك.

****

خرجت نادية من الصيدلية، ودلفت داخل سيارتها، وفوجئت بالباب المجاور لها يفتح، ويدلف إلى السيارة الرجل الغريب قائلاً: إلى أين تذهبين؟

قالت بعصبية: هذا ليس من شأنك.

قال الرجل: أنا لم أخبر أدهم بشيء فلماذا أنت غاضبة مني الآن؟

قالت نادية: ظهورك الدائم، ومطاردتك لي هي التي تغضبني.

قال الرجل: الآن، وبعد كل ما فعلته من أجلك تقولين هذا.

قالت نادية: أرجوك. أنا لا أريد أن أتذكر شيئاً. فابتعد عني، ودعني أنا وأدهم نعيش في سلام. ضحك الرجل وقال: تعيشا في سلام!؟ أنظروا من يتحدث عن السلام.

نظرت إليه بقسوة وقالت: هيا اخرج من السيارة.

قال الرجل: يبدو إنني لا أعرف كيفية السيطرة على نفسي. اعذريني يا نادية، ولكن إن أردت بالفعل أن أختفي من حياتك سأختفي.

قالت نادية: نعم. أريدك أن تختفي من حياتنا.

قال الرجل: أنت تعلمين جيداً أن لدي أموراً كثيرة أريد إنجازها لذلك سأبتعد عنكما لمدة، ولكني سأعود. أعدك إنني سأعود وحينها سيتغير كل شيء.

قال أدهم مبتسماً: هل تقولين إن حمزة يحب!

وضحك أدهم فدهشت جومانة وقالت: وماذا في ذلك؟ أليس بشراً لديه قلب؟

قال أدهم مبتسماً: اعذريني يا جومانة، ولكني كنت أظن أن شقيقك حمزة لا يحب إلا نفسه، ولم أكن أتخيل إنه رومانسياً هكذا.

قالت جومانة: هو بالفعل ليس رومانسياً لكنه وقع في الحب.

قال أدهم: ومن هي سيئة أقصد سعيدة الحظ هذه؟

قالت جومانة مبتسمة: من تظن؟

قال أدهم: وما أدراني. ربما تكون سجينة لديه في القسم.

قالت جومانة: كلا أيها الظريف إنها ديما ابنة عمي توفيق.

صعق أدهم وقال: ماذا؟

قالت جومانة: كما سمعت. ولقد أخذ الهدية التي أحضرتها له، وذهب ليهديها إليها.

قال أدهم بوجه سيطر عليه الغضب تماماً: ولكن ديما الآن في كليتها.

قالت جومانة: سيذهب إلى هناك، وينتظرها حتى تخرج، ولكن أخبرني كيف عرفت أن ديما الآن في كليتها؟

نظر إليها صامتاً، وفجأة تركها، وركض مسرعاً نحو بوابة الجامعة.

همت ديما أن تخرج من كليتها، ووصل إلى سمعها صوت رنين هاتفها المحمول فنظرت إلى شاشته ثم قالت بجفاء: نعم. ماذا تريد؟

أتاها صوت أدهم قائلاً: اسمعيني جيداً يا ديما. المدعو حمزة ابن عمي كامل سيأتي إليك ليهديك هدية فإياكِ أن تأخذيها منه.

قالت ديما دهشة: حمزة سيأتي ليهديني هدية!؟ وما المناسبة، وكيف عرفت؟

قال أدهم منفعلاً: دعك من كيف عرفت. المهم لا تقبلي تلك الهدية، وتصرفي معه بغلظة حتى لا يكررها مرة أخرى.

قالت ديما: وأين أنت؟

قال أدهم: أنا في الطريق إليك. انتظريني داخل النادي في مكاننا المفضل.

قالت ديما: هل قصصت شعرك؟

تأفف أدهم وقال: هذا ليس مجال حديثنا الآن يا ديما. المهم أفعلي ما قلته لك.

أنهى أدهم المكالمة، وخرجت ديما من الكلية فجاءتها زميلة لها قائلة: أين الوسيم الذي كان معك بالأمس يا ديما؟

نظرت إليها ديما بقسوة وقالت: وماذا تريدين منه؟

قالت الفتاة: أهو حبيبك؟

قالت ديما بجفاء: إنه ابن عمي.

قالت الفتاة مبتسمة: إن لم يكن بينكما علاقة فلم لا تعرفيني عليه.

ازدادت نظرت ديما قسوة نحو الفتاة، وتركتها وسارت دون أن تجيبها، ووصل إلى سمعها صوت حمزة يأتيها من خلفها منادياً عليها فالتفتت إليه، ووجدته يحمل هدية بالفعل.

قال حمزة: كيف حالك يا ديما؟

قالت ديما: حمزة! ما هذه المفاجأة؟ ما الذي آتى بك إلى هنا؟

قال حمزة: لقد آتيت مخصوص كي أهديك هذه الهدية.

قالت ديما دهشة: هدية! وما المناسبة؟

قال حمزة: بمناسبة إني أحبك يا ديما.

قالت ديما: حمزة. أنا أقدر شعورك هذا، وأقدرك أنت شخصياً، ولكني أعتبرك مثل أخي هاني فاجعلنا نظل شقيقين، وأصدقاء، ودعك من موضوع الحب هذا.

قال حمزة بحدة: لست أدري لماذا ترفضينني.

قالت ديما وهي تحاول امتصاص غضبه: أنا لا أرفضك يا حمزة. أنا أريد أن نكون أصدقاء فأنا لا أفكر في موضوع الحب الآن نهائياً فكل ما يهمني هو الاهتمام بدراستي التي أحبها.

قال حمزة: هل معنى ذلك إنه لا يوجد شخص آخر تحبينه؟

قالت ديما: أخبرتك إني لا أفكر في تلك الأمور الآن.

قال حمزة: حسناً يا ديما سأقنع نفسي بما قلته، ولكن تأكدي إن كنت تخدعيني وهناك شخص آخر فسيكون لي معكما تصرف آخر يحزنكما كثيراً.

****

داخل النادي الكبير بمنطقة الزمالك جلست ديما تنتظر أدهم، وقامت بالإتصال به عدة مرات لكنه لم يجيبها، وفجأة وجدته يقف أمامها مرتدياً غطاء رأس رياضياً، وعلى وجهه يرتسم الغضب فقالت له منفعلة: ما الذي أخّرك هكذا؟

أمسك غطاء الرأس الرياضي بيده، وأبعده عن رأسه فظهرت خالية تماماً من الشعر فضحكت ديما لكنها تمالكت نفسها، وتوقفت عن الضحك، ووضعت يدها فوق شفتاها فقال أدهم بغضب: لم توقفت عن الضحك؟

قالت ديما: أفعلتها؟ أفعلتها من أجلي. أتحبني إلى هذه الدرجة يا أدهم؟

جلس أدهم على المقعد المقابل لها وقال: بل أكرهك. أكرهك بعدد الشعيرات التي أزيلت من رأسي.

ضحكت ديما وقالت: أأنت غاضباً مني؟

قال أدهم: لا يا حبيبتي لست غاضباً، ولكني أكاد أنفجر غضباً.

وعاودت ديما الضحك بينما هو ينظر إليها في غيظ شديد.

مر عامان، وصارت ديما في سنتها الثالثة في كليتها، وصار أدهم في السنة الرابعة في كليته، وأقيم حفل عيد ميلاد ديما الحادي والعشرين، وقد صارت فاتنة حسناء كنجمات السينما الأجنبية، وحضر الحفل كثير من الحضور بينهم العميد كامل، وزوجته ليلي، ونجليه حمزة، وجومانة، وكذلك حضرت الدكتورة نادية بينما لم يحضر أدهم مما جعل ديما يبدو عليها القلق،

والتوتر. وقفت ديما مع جومانة التي صارت هي الأخرى حسناء فاتنة رشيقة القوام، وقد شعرت بذلك التوتر الذي يتملك من ديما فقالت: أشعر إنك متوترة يا ديما. هل حدث شيئاً؟

ابتسمت ديما ابتسامة مصطنعة وقالت: لا أبدا. لست متوترة.

قالت جومانة: حسناً. أنظري هناك. ما رأيك في هذا الضابط الوسيم ذو النجمتان؟

أشارت جومانة إلى شقيقها حمزة الذي ترقى وصار ملازم أول، ووقف جوار والده العميد كامل يرتدي زيه الميري.

ابتسمت ديما ابتسامة مصطنعة وقالت: بدلة الضباط أنيقة للغاية.

قالت جومانة دهشة: بدلة الضباط! أنا أسألك عن الضابط نفسه.

قالت ديما: أنا أحب بدلة الضباط، وأقدّر، وأحترم كل من يرتديها فهم بالفعل يعانون، ويضحون، ويعرضون حياتهم دائماً للخطر.

قالت جومانة: كلامك جميل، ولكن أنا اسألك عن أخي حمزة بصفة خاصة ما رأيك فيه؟

قالت ديما: أفضل أن أحتفظ برأيي لنفسي.

رن جرس الباب فركضت ديما دون وعي نحو الباب لتفتح ظناً منها أن القادم هو أدهم لكنها صدمت حين وجدته شخص صديق لوالدها.

عادت ديما مرة أخرى إلى جومانة التي قالت لها: ما هذا الذي فعلتيه يا ديما. أيوجد فتاة جميلة مثلك تركض هكذا؟

قالت ديما دهشة: أأنا ركضت؟ أنا لم أشعر ماذا فعلت.

ابتسمت جومانة وقالت: ألم أقل لك أنك تبدين على غير عادتك؟ لكن أخبريني لماذا لم يحضر أدهم مع طنط نادية؟

نظرت إليها ديما دهشة وقالت: ولماذا تسألين عن أدهم؟

قالت جومانة: لأنني التقيت به اليوم في الجامعة، وأخبرني أنه سيأتي.

قالت ديما بخبث: أراك مهتمة بأدهم فهل بينكما شيء؟

همت جومانة أن تتكلم لكن آتى إليهما حمزة ممسكاً بهدية قائلاً: كل عام وأنت بخير يا ديما. هل ستقبلين مني هديتي اليوم أم لا؟

قالت ديما مبتسمة: اليوم سأقبلها منك أكيد فهي هدية عيد مولدي، ولكن سأخذها منك بعد إطفاء الشموع.

قال حمزة: لقد صرت ملازم أول ألن تهنئيني؟

قالت ديما: مبارك لك يا حمزة.

رن جرس الباب فركضت ديما مرة أخرى نحو الباب غير عابئة بأي شيء، وفتحت الباب وهي تمني نفسها أن تجد أمامها أدهم، ووجدت أمامها شاباً يمسك بحقيبة هداية ورقية كبيرة يخفي بها وجهه فابتسمت قائلة: الحمد لله على السلامة.

كان الشاب هو أدهم الذي مازال وسيماً وأصبح شديد الجاذبية، والأناقة.

وقف أدهم يحمل حقيبة الهدايا الكرتونية الكبيرة، وعلى وجهه ابتسامة جذابة، وقال: هل عرفتني؟

قالت له ديما: ما الذي أخرك هكذا يا أستاذ؟

قال أدهم مبتسماً: صراحة أخرني البحث عن هدية مناسبة، كل الهدايا الجيدة تخطت العشرون جنيهاً.

قالت ديما ساخرة: تخطت العشرون جنيهاً. يا له من مبلغ كبير. أرجو ألا تكون أرهقت نفسك بشراء هدية بذلك الثمن.

قال أدهم مبتسماً: لا تقلقي يا حبيبتي فحبيبك ذكي.. لقد أطلت البحث حتى تمكنت في النهاية من العثور على متجر يبيع كل شيء بثلاثة جنيهات ونصف. أحضرت لك منه هدية ستعجبك كثيراً.

قالت ديما وهي تضربه على ظهره ضربات خفيفة: بثلاثة جنيهات ونصف، ولماذا هذا التبذير؟ هيا يا حبيبي إلى الداخل. حسابي معك لاحقاً.

دلف أدهم إلى الشقة، وبجواره ديما التي ظهر على وجهها السعادة، والمرح، ولاحظ حمزة وجومانة ذلك.

****

بعد أن دلف أدهم إلى الشقة، وانتهى من مصافحة أقربائه، وقف بجوار والدته، وجوارهما ديما فأخذ الإثنان يتحدثان ووجهيهما يعلن عن الحب والسعادة، وأخذ حمزة من بعيد يرمقهما بنظرات مليئة بالغضب وقال لشقيقته جومانة: أنا لا يعجبني هذا المشهد.

قالت جومانة التي ظهرت الغيرة على وجهها هي الأخرى: يبدو إنه هناك استلطاف شديد بينهما.

قال حمزة بغضب: استلطاف؟ ستكون هذه أيامه الأخيرة إذا وجد بالفعل بينهما شيئاً.

نظرت إليه شقيقته بذعر من كلماته، وقالت: لا يا حمزة فأدهم بمثابة ابن عمنا، وينبغي أن تتصرف بحكمة.

قال حمزة وعيناه معلقتان على أدهم وديما: أية حكمة، والأنسة منذ جاء هذا التافه، وهي تقف وتتحدث معه، ولا تفارقه، وكأنه الوحيد الموجود في الحفل.

قالت جومانة: حسناً دعنا نذهب إليهما نحن، ومن حديثهما سنفهم هل هناك علاقة بينهما أم لا. وسار حمزة مع جومانة إلى ديما وأدهم.

قال حمزة بغرور محدثاً أدهم: لقد رأيتك تصافح الجميع، وانتظرت أن تأتي لتصافحني لكنك لم تأت فقلت محدثاً نفسي مؤكد أنه لم يراني.

قال أدهم ساخراً: كابتن حمزة. كيف حالك يا باشا مصر. أيوجد شخص مبصر لا يرى هذه البدلة الجميلة. لقد ظننت نفسي يا رجل مقبل على لجنة تفتيش.

ضحكت ديما وجومانة بينما قال حمزة: ألذلك لم تأت لتصافحني؟

استمر أدهم على مزاحه قائلاً: لقد خشيت أن تطلب رؤية بطاقة هويتي، وأنا صراحة أسير دون بطاقة هوية.

ضحكت ديما وجومانة بينما قال حمزة مغتاظاً: لقد صرت خفيف الظل يا أدهم.

قال أدهم: أليس هذا أفضل من أن أظل طول عمري ثقيل الظل؟

كتمت ديما ضحكتها، ووضعت يدها على فمها بينما بدا الغضب على وجه حمزة، وهنا آتى إليهم العميد كامل وقال لأدهم معاتباً: أنا غاضب منك يا أدهم. ألم يخطر ببالك يوماً أن تأتي لزيارتي وتسأل على؟ ألست مثل والدك الراحل؟

قال أدهم مبتسماً: يعلم الله كم أنت عزيز على قلبي يا عمي، ولكني أخشى أن أزعجك بزيارتي.

قال العميد كامل وهو يضع يده على كتف أدهم: لا تقل ذلك يا أدهم حتى لا تغضبني منك. أنت عندي بمثابة حمزة، وجومانة لذلك سأنتظر زيارتك في أقرب وقت.

كان حمزة يستمع لحديثهما، وينظر إلى والده دهشاً من كلامه، وأسلوبه الحنون مع أدهم.

وأطفئت شموع عيد الميلاد، وأعطى أدهم هديته إلى ديما ثم أتى حمزة ممسكاً هديته، وجواره شقيقته جومانة.

قال حمزة وهو يعطي الهدية إلى ديما: عقبال العيد المائة يا ديما. أرجو أن تعجبك هديتي. لقد اشتريتها من أفخم المتاجر في مصر، وهي من أشهر الماركات العالمية.

قال أدهم ضاحكاً: بأسلوبك هذا لا أستبعد أن تكون قد أبقيت اللاصق المكتوب عليه الثمن موضوعاً على الهدية.

ضحكت ديما وجومانة بينما ضحك حمزة باستخفاف وقال: ألم أقل لك إنك صرت خفيف الظل.

قالت ديما مبتسمة: لكن أحقاً تركت لاصق الثمن على الهدية يا حمزة؟

ارتبك حمزة وقال: بالطبع لا. أستصدقين كلام هذا المخبول؟

أستشعر أدهم ارتباك حمزة فضحك وقال: حسناً أتدخل معي في رهان إنك تركت لاصق الثمن موضوعاً؟

قال حمزة: رهان! أنا لن أنجرف نحو تفاهاتك هذه وأهبط للحديث معك.

قالت ديما وهي تزيل لفافة الهدية: سأفتح الهدية، ولنرى.

فتحت ديما لفافة الهدية، ووجدت زجاجة عطر، وبالفعل موضوع عليها لاصق الثمن فضحكت، وأظهرته لهم فضحك أدهم وجومانة بينما ارتبك حمزة وقال: إنه خطأ البائع الغبي دون شك. لقد أكدت عليه أن يزيله.

واستمر أدهم، وديما، وجومانة في الضحك.

****

بعد انتهاء الحفل، وبعد أن عاد كل إلى بيته، وقف حمزة مع شقيقته جومانة في غرفته، وبدا على وجهه الغضب وقال:

_ أكاد أجزم أن هناك علاقة بين ديما وذلك الولد التافه المسمى أدهم.

قالت جومانة: وما الذي يجعلك متأكداً هكذا؟

قال حمزة: يا شقيقتي الحبيبة الصب تفضحه عيونه مثلما تفضحك عيناكِ وأنتِ تنظرين إلى هذا الأدهم.

بدا الإرتباك على جومانة، وقالت: ما هذا الذي تقوله؟

قال حمزة مبتسماً: لا داع للإرتباك يا عزيزتي فالقلوب لا يوجد سلطان عليها، ولكن أعتب عليك فقط سوء الاختيار.

قالت جومانة: أنا لا يوجد بيني وبين أدهم أي شيء.

ابتسم حمزة وقال: أعرف إنه لا يوجد شيء بينكما لأن الحب من طرفك أنت فقط.

قالت جومانة بحدة: أنا لا أسمح لك أن تتحدث عني هكذا، ومن فضلك اغلق هذا الموضوع وإلا سأذهب إلى غرفتي. ضحك حمزة وقال: حسناً يا شقيقتي الحبيبة لا تغضبي. المهم مهما كان مدى العلاقة بين ديما وأدهم فلابد أن ننهي علاقتهما هذه في أسرع وقت.

قالت جومانة: وكيف ذلك؟

وضع حمزة يده بقوة على كتف جومانة وقال: سأتقدم لخطبتها.

وابتسمت جومانة ابتسامة واسعة.

****

رقد أدهم على فراشه داخل غرفته يستمع إلى أغنية (روحي أنا) ذات الرتم الرومانسي الحالم الهادئ، والتي يغنيها المطرب الجميل هاني شاكر، وبينما هو

في حالة هيام يردد كلمات الأغنية وصل إلى سمعه رنين جرس الباب فذهب أدهم ليرى من القادم، وفوجئ أدهم بالرجل الغريب فدهش وقال:

_ أنت!؟

قال الرجل الغريب: هل تسمح لي بالدخول؟

أدخله أدهم، وجلس الإثنان، وقال أدهم وهو ينظر إلى الرجل بريبة: أنت ماذا تريد مني بالضبط؟

ابتسم الرجل وقال: يبدو إنك مازلت غاضباً مني؟

قال أدهم بحدة: من فضلك أجب على سؤالي. ماذا تريد مني؟

قال الرجل: أريد مصلحتك. لقد كنت صديقاً مقرباً لوالدك وكنت دائماً ناصحاً أميناً له، ولم يقصدني في شيء إلا لبيته له، والآن أريد مساعدتك، والوقوف جوارك مثلما وقفت جوار والدك.

قال أدهم: ولكني لا أحتاج لشيء.

ابتسم الرجل وقال: حقاً؟ عامة سأعطيك رقم هاتفي فإن احتجت مساعدة في أي شيء اتصل بي.

****

ذهب أدهم لزيارة العميد كامل داخل مكتبه في وزارة الداخلية، ورحب به العميد كامل ترحاباً حاراً، وفرح بزيارته كثيراً.

قال العميد كامل مبتسماً:

_ لا تتصور يا أدهم مدى سعادتي بزيارتك هذه.

قال أدهم مبتسماً: في الحقيقة كنت أريد زيارتك منذ مدة ولكني كنت أشعر بالحرج.

قال كامل: لا تقل ذلك يا أدهم. أنت لا تعلم كيف كانت علاقتي بوالدك الراحل لقد كنا أكثر من أشقاء، وكم قضينا من أيام سعيدة معاً، وأنت لك مني نفس تلك المحبة، وأعتبرك ابن لي مثل حمزة، وجومانة.

قال أدهم مبتسماً: في الحقيقة حضرتك دائماً عطوف عليّ، وأشعر أن حضرتك بالفعل بمثابة أب حقيقي ليّ.

صمت كامل وأخذ ينظر إلى أدهم بحنان شديد، ونهض من مجلسه خلف مكتبه وجلس على المقعد المقابل لأدهم الذي استطرد قائلاً: والحقيقة هذا ما شجعني أن أت لحضرتك لأستشيرك في موضوع.

قال كامل: خيرا يا أدهم؟

قال أدهم مرتبكاً: أنا أحب ديما ابنة عمي توفيق، وأريد أن أخطبها.

ضحك كامل وقال: الله الله. لقد كبرت يا أدهم، وتريد الزواج، وديما فتاة رائعة لقد أحسنت الاختيار بالفعل. أخبرني ما المطلوب مني وأنا أنفذه فوراً.

****

في المساء عاد العميد كامل إلى شقته، وبعد أن استقبلته أسرته دلف إلى غرفة نومه ليستبدل ملابسه لكنه جلس على حافة الفراش، ووضع وجهه بين راحتي يده، وأخذ يستعيد بعض الذكريات..

في ركن منعزل داخل أحد المقاهي جلس كامل، ومعه شخص أصلع الرأس ذو معالم وجه حادة غليظة، وكان الحديث بينهما بصوت هامس حذر.

قال الرجل الأصلع: ما هي المهمة الخطيرة التي تريدني أن أقوم بها يا كامل بيه؟

نظر كامل إلى الرجل، وقال بصوت هامس: هناك رجل أريدك أن تقتله.

مرت لحظات من الصمت ثم قال الرجل الأصلع: أمرك يا كامل بيه. لكن من هذا الرجل؟

قال كامل: اسمه الدكتور محمود فانتبه لي جيداً فسأشرح لك ماذا ستفعل بالضبط.

طرق باب حجرة كامل فخرج من شروده، وذكرياته، ودلف إليه حمزة قائلاً: بابا. أريد أن أتحدث معك في موضوع ما.

قال كامل: حسناً. انتظرني في غرفة المعيشة سأستبدل ملابسي، وأت إليك.

بعد قليل كان كامل يجلس مع أسرته في غرفة المعيشة وقال: يبدو على وجوهكم إنه هناك أمر مهم.

قالت زوجة العميد كامل مبتسمة: بالفعل هناك موضوع سيسعدك كثيراً يا كامل. حمزة يريد الزواج.

ابتسم كامل وقال: حقاً. ومن العروس؟

قالت جومانة بابتسامة واسعة: ديما يا بابا. ديما بنت أنكل توفيق.

بهت كامل وبدا كأن صاعقة أصابته فقال حمزة: هل هناك شيء يا أبي؟

صمت كامل ولم يجيبه فقالت زوجته: ماذا حدث يا كامل؟

انتاب الجميع القلق من ذلك الصمت ومن التحول الذي صار عليه وجه كامل فقال حمزة بقلق: تكلم يا أبي من فضلك. لماذا تجهم وجهك هكذا؟

قال كامل: لم يحدث شيء. ولكن دعونا نأجل الحديث عن هذا الموضوع الآن.

ونهض كامل وتركهم، وتوجه إلى غرفته بينما جلس باقي أفراد أسرته ينظرون إلى بعضهم البعض دهشين من ذلك التصرف الغير متوقع.

دلف حمزة غاضباً إلى غرفة والده العميد كامل الذي كان يرقد على فراشه غارقاً في تفكير عميق.

فال حمزة: لو سمحت يا أبي أريد التحدث إليك.

نظر إليه كامل وقال: أعرف الذي تريد قوله. اسمع يا حمزة. الزواج قسمة ونصيب، وأنا عرفت اليوم أن هناك من سيتقدم لخطبة ديما. شاب يحبها وهي أيضاً تحبه.

ظهر الغضب الشديد على وجه حمزة وقال: ومن هذا الشاب يا أبي؟

امتعض كامل ولم يجيب سؤال حمزة الذي كرر سؤاله قائلاً: أجبني يا أبي من هذا الشاب؟

نهض كامل، ووقف أمام حمزة وقال: ولماذا تريد أن تعرفه؟ فأي كان من هو فهو الشاب الذي تحبه ديما، ويجب عليك الابتعاد عن طريقها، وعدم التفكير بها.

قال حمزة: هذا الشاب هو أدهم أليس كذلك؟

ارتبك كامل لكنه تمالك نفسه وقال: أدهم أو غير أدهم هذا شيء لا يخصك.

قال حمزة بحدة: ويخص من إذن يا أبي؟ عامة حضرتك أترك هذا الموضوع، ودعني أتصرف فيه بطريقتي، ولنرى من الذي سيفوز في النهاية.

تحدث أدهم مع ديما عبر الهاتف، وأخبرها بزيارته للعميد كامل.

قالت ديما: لكن لماذا ذهبت إلى العميد كامل؟

قال أدهم: لقد طلبت منه أن يأتي معي ليشفع لي عند أهل الفتاة التي أحبها حتى يوافقوا على خطبتي لها.

صاحت ديما بسعادة:

_ أدهم. هل ستأتي لخطبتي؟

قال أدهم: إن قبلتِ هذا يا حبيبتي؟

قالت ديما بسعادة: سيكون هذا أسعد أيام عمري. ولكن لماذا لم تخبرني بذلك؟

قال أدهم: لقد أردت أن أجعلها مفاجأة لك.

قالت ديما: ومتى ستأتي؟

قال أدهم: سأطلب من أمي أن تتصل بعمي، لتحدد معه موعداً للزيارة، وأرجو أن يمر الأمر على خير.

الفصل السادس
لا تتخلــى عنــي

وقف حمزة مع شقيقته جومانة داخل غرفتها، وبدا عليه الغضب الشديد وقال:

_ ألم أقل لكِ. أدهم بالفعل أتفق مع ديما على الزواج، وتواعدوا على اللقاء غداً.

قالت ديما دهشة: وكيف عرفت؟

ابتسم حمزة بسخرية وقال: يبدو أنك نسيتي ما وظيفتي، وما الذي أستطيع فعله بنفوذي؟

قالت جومانة: وماذا ستفعل؟

برقت عيني حمزة وتملكها الشر وقال: ستعرفين غداً.

تملك القلق من جومانة وقالت: حمزة. إياك أن تأذي أدهم.

نظر إليها مبتسماً وقال: ألم أقل لك أنك تحبينه؟ لكن اطمئني يا عزيزتي أنا فقط سألقنه درساً لن ينساه.

انطلق أدهم بسيارته، وبجواره ديما متجهان إلى مدينة السادس من أكتوبر، وبينما هما في الطريق ظهرت سيارة ميكروباص بها ستة شباب يقوم قائدها بالاقتراب من سيارة أدهم، ووجه الشباب لأدهم السباب والإهانة

فأخذ أدهم يوبخهم، وسيطر الخوف على ديما، وأخذت تطالب أدهم بعدم الالتفات إليهم، وتجاهلهم.

شعر أدهم بخوف ديما فرضخ لرجائها، وأغلق زجاج نوافذ السيارة وزاد من سرعتها لكن السيارة الميكروباص ظلت تطارده وتحتك بسيارته عدة مرات، وسيطر الخوف الشديد على ديما، وأشار أحد الشباب من داخل الميكروباص لأدهم بإيقاف السيارة لكن أدهم استمر في القيادة، ومحاولة تفادي الاحتكاك بسيارة هؤلاء البلطجية لكن دون فائدة فلقد صدمت السيارة الميكروباص سيارته من الخلف ثم تمكن قائدها من مجاورة سيارة أدهم فاحتكت السيارتان ببعضهما، فقام أدهم بإيقاف سيارته، وهبط منها متجاهلاً صراخ ديما، ونداءها عليه.

وتوقفت السيارة الميكروباص على جانب الطريق، وهبط منها الشباب الستة، وأمسك بعضاً منهم بعصا غليظة، والبعض الأخر يمسك بجنازير حديد.

قال أدهم بغضب: ماذا تريدون؟

قال أحدهم: نريد تعليمك الأدب حتى تعرف كيف تعامل أسيادك.

دهش أدهم وقال: وهل أنتم أسيادي أم الذين أرسلوكم؟

أقترب الرجال الستة منه، وقال أحدهم: يبدو إنك كثير الكلام لذلك سنحطم أسنانك، ونقطع لسانك.

قال أدهم: أخبرني بكم اشتراكم من أرسلكم لي؟ أنا مستعد أن أدفع لكم ضعفي ما وعدكم به.

قال أحدهم: هل ستعطينا خمسون ألفاً؟

قال أدهم: نعم سأعطيكم. حقيبة النقود داخل حقيبة السيارة. هيا تعالوا خذُها.

أقترب الشباب الستة من مؤخرة السيارة، وقام أدهم بفتح حقيبة السيارة، وأخرج منها أنبوب إطفاء حريق، وفي سرعة مفاجئة أخذ ينثر بُدرتها على وجوه البلطجية ثم قام بلكم أحد الشباب، وأخذ منه الجنزير الحديد، وأخذ يطيح في الشباب الذين لم يستطيعوا مجاراته لتمكنه في لعبة الكاراتيه، ولم يجد الشباب بد من الإسراع إلى سيارتهم، والهرب بها.

تأنق أدهم بشدة، وذهب مع والدته بصحبة العميد كامل إلى بيت عمه المهندس توفيق ليخطب منه ديما، واستقبلهما المهندس توفيق وزوجته ماجدة بترحاب شديد، وخاض الجميع حديث الذكريات إلى أن أتت القرصة للدكتورة نادية في التحدث عن طلب خطبة ديما إلى أدهم وقالت:

_ المهم يا باشمهندس لقد أتينا اليوم لكي نطلب منك خطبة ديما إلى أدهم. أنت تعلم أخلاق أدهم جيداً، وأنه هذا العام في السنة النهائية في كليته و..

قاطعها المهندس توفيق قائلاً: لا تحدثيني عن أدهم يا دكتورة فأنا أعلم عنه كل شيء. إنه ابن أخي الوحيد وليس شخصاً غريباً عني.

ابتسم أدهم لكلام عمه هذا لكن ظل القلق ينتابه، واستطرد المهندس توفيق كلامه قائلاً: أدهم هو ابن لي مثلما هو ابنك يا دكتور، ولكن موضوع

الزواج من ديما هذا لن أستطيع أن أوافق عليه. أنا آسف يا أدهم لا تغضب مني لكن هناك أشياء تحول دون إتمام هذا الزواج فأنت أبن عمها مباشرة، وعادة زواج الأقارب من الدرجة الأولى مثل هذا ينتج عنه ذرية مريضة ضعيفة، ومؤكد أنتِ تعلمين هذا الكلام جيداً يا دكتور.

قال العميد كامل: ولكن الطب تقدم كثيراً يا باشمهندس، ومؤكد هناك احتياطات طبية يتم أخذها قبل إتمام مثل هذا الزواج.

قال المهندس توفيق: وهل سأضع مصير أحفادي تحت رحمة تجارب طبية يا كامل؟ لقد رأيت بنفسي كثير من الحالات المرضية نتيجة لزواج الأقارب. أنت لا يرضيك يا كامل، ولا يرضيك يا دكتور أن يكون لديما وأدهم أبناء معاقون ذهنياً أو جسدياً، أو لديهم مرض في الدم. هل ستستطيعين تحمل رؤية ذلك يا دكتور؟ لو أنتِ تستطيعين التحمل فأنا صراحة لا أستطيع، ولن أقبل بذلك أبداً. شعر أدهم بصدمة كادت أن تعصف بقلبه، وكادت دموعه أن تنساب على وجهه لولا استشعاره بالحرج من الحاضرين.

قال العميد كامل: ما رأيك أن نعرضهما على طبيب متخصص لنرى ماذا يقول؟

قال توفيق: أنا لن أعرّض ابنتي لهذا الأمر. ما الذي يجبرني على ذلك؟

قال أدهم والدموع بدت واضحة في عينيه: يا عمي..

لم يعطه المهندس توفيق فرصة للكلام وقال: أدهم حبيبي. ركز في دراستك. نريد أن نراك إعلامياً لامعاً.

شعر أدهم إنه لا فائدة من الحديث مع عمه، وشعر إنه لن يستطيع إيقاف دموعه عن الانهمار فأسرع بمغادرة المكان، والدموع تنساب على وجهه بغزارة، وهرولت والدته خلفه وهي تنادي عليه.

****

جلست ديما في غرفتها تبك بشدة، وتفيض دموعها أنهاراً، ودلفت إليها والدتها قائلة: أمازلتِ تبكِ يا ديما؟ لقد فعل والدك هذا لمصلحتكما أنتما الإثنان.

قال ديما ببكاء: مصلحتي هي الزواج من أدهم، وليس من حق أبي أن يفرض رأيه على هكذا.

قالت الأم بحنان: والدك فعل ما يراه صواباً.

قالت ديما ببكاء: وما هو الصواب في ذلك؟ أن يحرمني من الشخص الذي يحبني أكثر من نفسه؟ لقد ظلمني، وظلم أدهم، وليكن في علمكما إن لم أتزوج أدهم فأنا لن أتزوج أبداً.

ابتسمت الأم وقالت: يا حبيبتي أكثر الفتيات عندما تحب تقول لحبيبها إنه من المستحيل أن تكون زوجة لشخص غيره لكن في النهاية يتزوجون شخص آخر، وعندما يمر بهن الزمان يضحكن على ما كن يقولونه.

اتصلت ديما بأدهم وهي تبك وقالت له: إياك أن تتخلى عني يا أدهم. مهما فعل والدي لابد أن نظل معاً. أنا لا أتخيل أن تكون حياتي بدونك.

قال أدهم: وأنا لن أتخلى عنكِ أبداً يا ديما. لو تخليت عنك أكون تخليت عن روحي، وسعادتي.

قالت ديما: وماذا سنفعل؟

قال أدهم: أمي والعميد كامل أخبراني إنهما سيكرران المحاولة مع المهندس توفيق.

قالت ديما: أرجو أن يتمكنا من إقناعه. لقد امتنعت عن تناول الطعام حتى أجبر أبي على الموافقة.

قال أدهم: ألهذه الدرجة تحبيني يا ديما؟

قالت ديما: لعلك تقدر تضحيتي من أجلك فيما بعد.

بينما العميد كامل يجلس في مكتبه فوجئ بديما تتصل به وتقول له متوسلة:

_ أرجوك يا عمي أن تحاول إقناع والدي بزواجي أنا وأدهم.

ابتسم كامل وقال: إلى هذه الدرجة تحبينه؟

شعرت ديما بالخجل وقالت: أن ما يربطني بأدهم ليس مجرد حباً. إن ما يربطني بأدهم أنه توأم روحي كأنه هو أدم وأنا حواء التي خلقت من ضلعه، ويكمل كل منا الآخر.

قال العميد كامل: المشكلة يا ديما أن والدك عنيداً للغاية، ومازالت تجري في عروقه دماء الرجل الصعيدي الذي ينفرد برأيه، وقراره حتى ولو كان خاطئاً، ولكن اطمئني فسأحاول معه مرة ثانية، ولن أتركه حتى يوافق على زواجكما.

ابتسمت ديما ابتسامة واسعة فلقد أعطتها كلمات العميد كامل كثير من الأمل، ومن الحياة.

ذهبت الدكتورة نادية إلى بيت المهندس توفيق لإثنائه عن قراره برفض زواج أدهم وديما لكن المهندس توفيق أصر على موقفه قائلاً: إنهما مازالا صغيران. الحب يعمي بصيرتهما، ولا يجعلهما يعرفا مصلحتهما، إنهما ينظران تحت أرجلهما، وليست لديهما نظرة إلى المستقبل عندما يتزوجا وينجبا أطفالاً مرضى، أو معاقين يجعلانهما يتعذبان في كل نظرة إليهم، ووقتها سيشعران بأشد الندم على هذا الزواج.

قالت نادية: دعنا نعرضهما على طبيب مختص ونرى ماذا يقول.

قال المهندس توفيق: وما الذي يدعونا لذلك، وتعريض ابنتي لهذه السخافات. أقنعي أدهم يا دكتورة بالالتفات إلى مستقبله أفضل.

قالت نادية بحزن: أهذا آخر كلام لديك يا باشمهندس؟

قال توفيق بهدوء: أعلم إنك غاضبة مني يا دكتور لكن تأكدي إني أفعل هذا من أجل مصلحة الأولاد.

بعد أن عاد العميد كامل إلى منزله جلس معه حمزة وقال له:

_ هل حقاً عمي توفيق رفض طلب أدهم بالزواج من ديما؟

قال كامل: نعم.

قال حمزة: إذن يمكنني الآن التقدم لها.

قال كامل منفعلاً: ما هذا الذي تقوله؟ هل أنت عديم الإحساس والشعور إلى هذه الدرجة؟ الفتاة تحب شخص آخر غيرك ورغم ذلك تريد الزواج منها.

قال حمزة: أنا أعرف كيف سأجعلها تنسى هذا الولد التافه، وتحبني بعد ذلك.

قال كامل بغضب: أدهم ليس تافهاً. أدهم شاب محترم ومؤدب وسينتهي هذا العام من دراسته في كلية الإعلام.

قال حمزة دهشاً: أنا لا أفهم سر دفاعك الدائم عن هذا الولد. أنت تدافع عنه كما لو كان ابنك.

نظر إليه كامل للحظات ثم قال: إن والده له دين كبير لدي، ومهما فعلت لن أستطيع سداد هذا الدين. كما إني اعتبر نفسي بالفعل مثل والده، وهو أيضاً يعتبرني هكذا فهل يجوز بعد ذلك أن أزوج ابني للفتاة التي يحبها؟

قال حمزة منفعلاً: أنت تخشى على شعوره، ولا يهمك ما أشعر أنا به؟ هل أصابك الزهايمر يا أبي فنسيت من هو ابنك؟

قال كامل منفعلاً: اخرس. أنت وقح وقليل الأدب.

قال حمزة: أنا آسف يا أبي، ولكن أنت بهذه الطريقة ستجعل كراهيتي تجاه أدهم تزيد أكثر، وستزداد عداوتي له.

صمت كامل، وأخذ ينظر إلى حمزة ثم قال: حاضر يا حمزة. سأنفذ لك رغبتك.

وارتسمت ابتسامة واسعة على شفتي حمزة.

خرجت ديما من كليتها ففوجئت بحمزة ينتظرها، وطلب منها أن تركب معه السيارة ليحدثها في أمر هام فرفضت ديما لكنه أخذ يلح عليها حتى وافقت، وانطلق حمزة بالسيارة، وبالقرب من نيل حي الزمالك أوقف حمزة سيارته، وقال: المكان هنا هادئ، ويمكننا الحديث.

امتعضت ديما وقالت: ما الذي تريد قوله يا حمزة؟

قال حمزة: لماذا تعامليني بهذا الجفاء يا ديما؟ ما الذي فعلته لأستحق منك هذه المعاملة السيئة؟

قالت ديما: قل ما تريد بسرعة يا حمزة حتى لا تأخرني عن العودة إلى البيت.

قال حمزة: حسناً يا ديما. لقد قررت أن آت لخطبتك. أنا أحبك كثيراً، وسأكون أسعد شخص في العالم عندما تصيرين ملكاً لي.

قالت ديما بغضب: ملكاً لك!؟ هل تظنني دمية ستلهو بها؟ أنا آسفة يا حمزة لن أستطيع أن أكون ملكاً لك.

قال حمزة: اعذريني يا ديما لقد خانني التعبير لكن تأكدي عندما نتزوج أنت التي ستملكينني، وستملكين قلبي، وروحي، وعمري.

قالت ديما: أنا آسفة يا حمزة. أنت تستحق فتاة أفضل مني ألف مرة، ولكن أنا لا أفكر في هذا الموضوع الآن.

قال حمزة بغضب: لا تفكري في هذا الموضوع أم إنك تحبين هذا الولد التافه المسمى أدهم؟

قالت ديما بتحد: رغم أن ذلك ليس من شأنك لكن نعم أحب أدهم وسأتزوجه.

وفتحت باب السيارة، وهمت أن تغادرها لكن حمزة أمسك بيدها قائلاً: سيكون هذا على جثتي أو ربما جثتكما أنتما الإثنان.

نظرت إليه ديما نظرة قاسية، وترك حمزة يدها فغادرت السيارة وأغلقت بابها في قوة.

جلس أدهم مهموماً مع والدته وقال: ما فائدة الحياة طالما نعيشها وقد حرمنا ممن نحبهم، الذين لا نشعر بالسعادة، وطعم الحياة إلا معهم.

قالت نادية وهي تحتضنه: لا تقل هذا الكلام يا أدهم. أنا لا أحب أن أراك محبطاً هكذا.

قال أدهم: أنا بالفعل لن أستطيع الحياة دون وجود ديما جواري. ديما هي شمسي التي تعطيني الدفء، هي الماء الذي يرويني ويعطيني الحياة، ديما هي الروح التي إن فارقتني فارقت الحياة غير آسفاً عليها.

أخذت نادية تنظر إلى أدهم بصمت ثم قالت: ديما ستكون لك يا أدهم. تأكد من ذلك. ثق في كلام أمك.

****

اتصل أحد المحامين بالمهندس توفيق يطلب مقابلته لأمر هام وخطير، وبالفعل آتى ذلك المحام، وجلس مع المهندس توفيق في حجرة مكتبه، وكان المحام رجل يبدو عليه الوقار، وأنه في منتصف العقد الخامس من عمره.

قال المحام: أنا فوزي منصور محامي الدكتور محمود شقيق سيادتك الراحل.

قال توفيق دهشاً: محامي شقيقي محمود! خيريا أستاذ؟

قال المحامي: في الحقيقة أنا أعتذر لك جداً لأن زيارتي هذه كانت يجب أن تكون فور وفاة المرحوم محمود.

قام المحام بفتح حقيبته الجلدية السوداء الصغيرة، وأخرج منها خطاب مغلف واستطرد قائلاً: هذا الخطاب وصاني الدكتور محمود قبل وفاته أن أوصله إليك في حالة وفاته

لكن للأسف وقت وفاته كنت مسافر خارج مصر، وعندما عدت لم أعلم بوفاته ثم تركت مكتب المحام الذي كنت أعمل لديه بعد أن حدثت بيننا بعض الخلافات، وأخذت أبحث عن مكتب آخر لكن في النهاية قررت أن أفتح مكتب خاص بي، ووسط كل هذه الظروف التي مرت بي نسيت تماماً أمر الدكتور محمود، وخطابه إلى أن وجدته من يومين بالضبط عندما كنت أراجع بعد الأوراق القديمة، وتذكرت توصية الدكتور محمود بأن أسلمك إياه.

تناول المهندس توفيق الخطاب من يد المحامي قائلاً: وماذا يحمل يا ترى هذا الخطاب؟

نهض المحام من مجلسه قائلاً: ليس عندي علم بذلك. فهذه أسرار عميل، والآن استأذنك في الانصراف، وأرجو أن تتقبل اعتذاري مرة ثانية على تأخير الخطاب.

بينما تجلس نادية مع أدهم يشاهدان أحد الأفلام رن هاتفها المحمول فنظرت إلى شاشته ثم قالت: إنه عمك. أرجو أن يكون عدّل عن رأيه.

وقامت نادية بالرد على المهندس توفيق الذي تحدث إليها بانفعال شديد وطالبها بالحضور إليه في الحال ثم أغلق الهاتف فتملكت الدهشة من نادية، وبدت الحيرة على وجهها فقال لها أدهم: ما الموضوع يا أمي؟ لماذا تغير وجهك هكذا؟

قالت نادية: عمك يريدني أن أذهب إليه الآن، وكان يحدثني وهو منفعل للغاية فلست أدري ما الذي: حدث.

ظهرت الدهشة على أدهم وقال: هل ستذهبين إليه الآن؟

قالت نادية وهي تنهض من مجلسها: نعم.

قال أدهم: هل أذهب معك؟

قالت نادية وهي تداعب شعر أدهم: لا يا حبيبي أبق أنت هنا، ولا تقلق.

وصلت نادية إلى شقة المهندس توفيق فرحبت بها زوجته التي قالت: توفيق ينتظرك في مكتبه.

دلفت نادية، ومعها زوجة الحاج توفيق إلى حجرة المكتب فقال توفيق منفعلاً محدثاً زوجته: دعينا بمفردنا يا حاجة.

خرجت الزوجة من غرفة المكتب بينما بدا القلق على وجه نادية وقالت: خيريا باشمهندس؟

نظر إليها توفيق بغضب شديد، وأمسك بالخطاب، وألقاه إليها قائلاً بانفعال: ما تعليقك يا مدام على كلام محمود الذي كتبه في هذا الخطاب؟

أمسكت نادية بالخطاب وأخذت تقرأ فيه، وعلامات الدهشة على وجهها تتزايد ثم قامت بتجميع الخطاب في قبضة يدها وهي تقول: ما هذا الكلام الفارغ؟

قال توفيق منفعلاً: كلام فارغ!؟ أليس هذا خط محمود أخي؟

قالت نادية: أنا لا أتذكر خط محمود لكن كيف وصلك هذا الخطاب؟

قال توفيق: وهل هذه هي المشكلة كيف وصل لي الخطاب؟ هيا أخبريني ما حقيقة هذا الكلام، ولا تكذبي.

قالت نادية: هذا الخطاب مزيف بكل تأكيد فكل الكلام الذي به غير حقيقي.

قال توفيق منفعلاً: كاذبة. لقد تأكدت من الحاجة زوجتي إنك أنجبتِ أدهم بالفعل بعد ستة أشهر فقط من زواجكما. إذن فأدهم بالفعل ليس ابن محمود.

قالت نادية وهي تكاد تبك: هذا كذب، وغير حقيقي لقد أنجبت أدهم بعد سبعة أشهر. صدقني يا باش مهندس أدهم ابن محمود مثلما هو ابني.

قال توفيق: أين قسيمة زواجك من محمود؟

بدا الإرتباك على نادية وقالت: قسيمة الزواج! لقد ضاعت مني.

قال توفيق بغضب: ضاعت منكِ أم إنك تخفيها؟ أنظري يا نادية أنا لن أقيم دعوى قضائية لإظهار عدم أحقية أبنك في الحصول على ميراث شقيقي محمود لكن أريدك أن تبتعدي أنتِ وابنك عن ابنتي ديما، فاخبري ابنك ألا يقترب منها أو يتحدث إليها أبداً، وإلا فسيكون لي تصرف آخر معكما أنتما الإثنان. تصرف لن يرضيك أبداً.

سقطت الدموع من عيني نادية وقالت: يا باشمهندس أرجوك صدقني..

لم يعطيها توفيق الفرصة لتكملة حديثها فقال: انتهت المقابلة. تفضلي اذهبي. مع السلامة.

خرجت نادية من حجرة مكتب المهندس توفيق والدموع تملأ عينيها، فأسرعت إليها ديما قائلة: ما الذي حدث يا طنط، ولماذا تبك؟

خرج إليهما توفيق وقال منفعلاً: أرأيت يا أنسة ديما من كنتِ مضربة عن الطعام لأجله؟ لقد اتضح إنه ليس ابن شقيقي محمود، والدكتورة المحترمة كانت تخدعنا كل هذه السنوات حتى ترث هي وابنها أموال محمود والصيدلية. قالت ناديه ببكاء: أرجوك يا باشمهندس لا داعي لهذا التجريح. فكل هذا الكلام كذب وافتراء. هناك من يريد الوقيعة بيننا أقسم لك.

قالت ديما: طنط نادية لا يمكن أن تفعل هذا يا أبي. مؤكد هناك من يريد الوقيعة بينكما.

قال توفيق منفعلاً: اخرسي أنت، واذهبي إلى غرفتك، وإياك أن تتحدثي مع هذا الولد مرة ثانية حتى لا أقوم بإحراجه وإهانته.

قالت نادية بتوسل: لأ يا باشمهندس أرجوك. حتى لو هذا الكلام حقيقي فأدهم ليس له ذنب فيه.

وقام المهندس توفيق بطردها من الشقة وسط بكاء ديما، وانهمار دموعها بغزارة فلقد شعرت إن قصة عشقها لأدهم قد حانت نهايتها. نهاية سوداء حزينة.

عادت نادية إلى شقتها، وهي تحاول التماسك أمام أدهم الذي كان يجلس في غرفته ثم هرول إليها ما أن سمع صوت باب الشقة يغلق، والتقى بوالدته وقال لها: ماذا كان يريد عمي يا أمي؟

صمتت نادية ولم تجبه فاستطرد أدهم قائلاً وقد تملك منه القلق: هل حدث شيئاً؟ تكلمي يا أمي.

انسابت الدموع على خديها ثم قالت بصعوبة، وبشفاه مرتعشة: انسى ديما يا أدهم.

وقعت الجملة كالصاعقة على أدهم الذي قال: أنسي ديما!؟ لماذا يا أمي. ماذا حدث؟

توجهت نادية إلى غرفتها بينما تسمر أدهم مكانه تكاد تقتله الحيرة، والظنون.

****

الفصل السابع
طلـــب زواج

تأنق حمزة بشدة، وذهب مع أبيه، وأمه، وشقيقته جومانة لزيارة المهندس توفيق لخطبة ديما، واستقبلهما المهندس توفيق وزوجته أفضل استقبال، وقام العميد كامل بطلب يد ديما لحمزة فابتسم المهندس توفيق ووافق على الفور وقال: حمزة شاب محترم ويشرف أي عائلة أن تعطيه ابنتها.

غمرت السعادة حمزة، وكذلك والدته، وشقيقته بينما قال كامل: لقد كنت أخشى أن ترفض حمزة لصلة القرابة التي تربط بينه وبين ديما.

قال المهندس توفيق مبتسماً: صلة القرابة التي بين حمزة وديما ليست من الدرجة الأولى يا سيادة العميد لذلك لا يوجد منها قلق.

قال كامل: لكن ألن تأخذ رأي ديما فربما كان لها رأي آخر؟

نظر حمزة لوالده دهشاً بينما قال المهندس توفيق: ديما لا تعرف مصلحتها مثلما أعرفها أنا. وطالما وافقت أنا فأي كلام آخر ليس له أهمية.

تملكت السعادة من حمزة عند سماعه هذا الكلام وقال: حسناً. ما رأيك يا باشمهندس لو نقرأ سورة الفاتحة لمباركة هذا الكلام.

قال المهندس توفيق مبتسماً: فلنقرأها جميعاً حتى تطمئن يا حضرة الضابط.

وبالفعل تمت قراءة الفاتحة، وعمت السعادة الجميع.

****

وقفت ديما وسط والديها وشقيقيها أسامة وهاني في حالة انهيار تام وقالت: حرام عليك يا أبي لماذا تفعل بي ذلك؟

قال هاني: صراحة يا أبي أنا لا أوافقك فيما فعلته فتصرفك هذا لا يقبل به الشرع فكان لابد من أخذ رأي ديما فهي صاحبة القرار الأولى في هذا الموضوع وليس حضرتك.

انفعل توفيق وقال: يبدو إنك نسيت الأدب يا هاني. كيف تخاطبني هكذا؟

قال هاني: أنا أسف يا أبي، ولكن..

قاطعه توفيق قائلاً: ليس هناك لكن. لقد وافقت وانتهى الأمر. أم إنك تريدها أن ترتبط بذلك الولد أبن تلك المخادعة نادية؟

صمت هاني ولم يجيب بينما هرولت ديما نحو غرفتها قائلة ببكاء: والله هذا حرام.

اتصلت ديما بأدهم وهي تبك وقالت له: أنجدني يا أدهم. حمزة آتى إلى والدي بصحبة العميد كامل وطلب خطبتي، ووافق والدي.

دارت الدنيا بأدهم، وأصيب بحالة من الصمت فقامت ديما بالنداء عليه عدة مرات ثم خرج أدهم من دوامته وقال والدموع تنسال من عينيه: لا يا ديما. لابد أن تثني والدك عن قراره. أنت لو صرت لشخص غيري سأموت يا

ديما. أنت تعلمين إنه لا حياة لي بدونك. ديما أرجوك تمسكي بحبنا إن كنت فعلاً تحبيني.

قالت ديما ببكاء: أأنت حتى الآن تشك في حبي يا أدهم؟ لقد وقفت أنا وأخي هاني في وجه أبي ونهرنا بشدة، وأصر على موافقته بخطبتي لحمزة.

انفعل أدهم وقال: لست أدري لماذا يفعل عمي ذلك؟ لماذا يصر على أن يحرمني منكِ.

قالت ديما: ربما كان بسبب الخطاب الذي جاءه.

قال أدهم دهشاً: أي خطاب؟

قالت ديما: ألم تخبرك طنط نادية؟

قال أدهم: لم تخبرني أمي بشيء سوى أن والدك طلب منها أن أبتعد عنك فهل هناك شيء آخر؟

شعرت ديما أنها تسرعت في الكلام فقالت مرتبكة: لا. ليس هناك شيء آخر.

وهنا دخل عليها والدها الغرفة منفعلاً وقال: أمازلت تتحدثين مع هذا الولد. ألم أحذرك من ذلك؟

أغلقت ديما الهاتف وألقته على فراشها وقالت: أنا أكلم صديقة لي.

قال المهندس توفيق منفعلاً: أنا أحذرك للمرة الأخيرة. إياكِ أن تتحدثي مع هذا الولد أدهم بعد ذلك.

آتت نادية من الصيدلية في وقت متأخر، ووجدت أدهم يجلس في غرفة الإستقبال غارقاً في تفكير عميق فقالت له: ما الذي جعلك مستيقظاً حتى الآن يا أدهم؟

قال أدهم: ما موضوع الخطاب الذي وصل إلى عمي؟

ارتبكت نادية وقالت: خطاب!؟ أي خطاب؟

قال أدهم: أمي. لا داعي لإسلوبك هذا. لقد أخبرتني ديما إنه قد آتى خطاب إلى عمي توفيق ربما كان هو السبب في رفضه لي.

قالت نادية: لا يا أدهم هذا الخطاب ليس له شأن بك. ورفض عمك لك هو أخبرنا سببه كونك ابن عمها وذلك سيجعلكما تنجبان أطفال غير أصحاء.

قال أدهم: أمي هل هناك شيء تخفيه عني؟

اصطنعت نادية الابتسامة وقالت: منذ متى وأنا أخفي عنك شيئاً يا أدهوم؟ وهيا ادخل نم فلقد تأخر الوقت. وتركته هي، وسارت متوجهة نحو غرفتها بينما وقف أدهم، وبدا عليه عدم الإرتياح.

دلف عسكري مكتب العميد كامل إليه في مكتبه يخبره أن أدهم يريد مقابلته فتجهم وجه كامل، وطلب من العسكري إدخال أدهم.

دلف أدهم إلى حجرة مكتب العميد كامل يكسي الحزن وجهه، ورحب به العميد كامل ترحاباً حاراً لكن لم يشفع ذلك له فلقد أخذ أدهم ينظر إليه نظرات قاسية لاحظها كامل لكنه لم يعلق.

قال أدهم بحزن: أتعلم ما هو أصعب شيء على المرء يا سيادة العميد؟

لم يجيبه كامل فاستطرد أدهم قائلاً: أصعب شيء على المرء عندما يعطي كل ثقته وحبه لإنسان ثم يفاجئ بهذا الإنسان يكون سبباً في أكبر، وأعمق جرح يصاب به طوال حياته.

فهم كامل ما يرمي إليه أدهم فقال: أدهم. أرجوك تفهم الأمر.. قاطعه أدهم قائلاً: أنا متفهم الأمر جيداً سيادة العميد. ففي النهاية حمزة هو ابنك ولابد أن تفعل ما يحقق له السعادة، ولكن كنت أأمل بما أنك تعلم جيداً مدى حبي أنا وديما لبعضنا البعض أن تحاول إثناء حمزة على خطبتها. لقد جئت إليك يا سيادة العميد وطلبت منك أن تدعمني في طلب يد ديما من والدها لتقديري لك ولشعوري بإنك في مثابة أب لي، ولقد شعرت إنك تعاملني أيضاً بحنان كما لو كنت ابن آخر لك، ولكن للآسف اتضح إني كنت واهماً، فيبقى ابنك هو ابنك بينما يظل الغريب غريب وليذهب إلى الجحيم هو وحبه، وإحساسه.

كان العميد كامل يستمع إليه بحزن شديد، ولم يجد ما يقوله، وواصل أدهم كلامه قائلاً: لقد أتيت إليك الآن فقط لأخبرك إنني صدمت بك، وأعرفك إنني وديما سنظل معاً، ولن يستطيع ابنك أن يفرقنا أبداً مهما فعل.

ثم نهض أدهم، وغادر حجرة المكتب بينما أخذ العميد كامل يضرب الحائط بيده عدة مرات.

بينما تقف نادية داخل الصيدلية دلف إليها الرجل الغريب، واقترب منها قائلاً: كيف حالك يا نادية؟

نظرت إليه صامتة للحظات ثم قالت: جيد أنك أتيت. أريدك في موضوع هام.

التقى أدهم وديما بعد أن خرجت من كليتها، وفي أحد الكازينوهات المطلة على النيل جلسا يتحدثان، وفوجئ أدهم بألم في معدته فبدا ذلك على وجهه فقالت له ديما: ماذا بك يا أدهم؟ هل أنت بخير؟

قال أدهم متألماً: أشعر بألم في معدتي. أتأذنين لي بالذهاب إلى الحمام؟

قالت ديما: تفضل يا حبيبي، وهناك صيدلية بالخارج يمكنك شراء دواء منها.

أماء لها أدهم بالموافقة، وأسرع متجهاً إلى دورة المياه.

بعد مضي وقت ليس بقصير عاد أدهم واضعاً يده فوق معدته، وقال لديما: لا فائدة. يبدو إنها نزلة معوية فهيا بنا ننصرف يا ديما.

بدا القلق على ديما وقالت: أرجوك يا حبيبي لا تقلقني عليك.

قال أدهم: لا تقلقي يا حبيبتي سأكون بخير.

وقام أدهم بتوصيل ديما إلى مكان قريب من منزلها، وصعدت إلى شقة أسرتها ففوجئت بصراخ والدتها وبكاء شقيقاها أسامة وهاني ففزعت واضطرب قلبها، واسرعت نحو والدتها تسألها عم حدث فأخبرتها أمها أن

والدها قد مات مقتولاً فصرخت ديما بينما قال اسامة: لقد دخلت إليه فوجدته مطعوناً بسكينة كبيرة في قلبه.

واستمرت ديما في الصراخ حتى فقدت وعيها تماماً.

داخل أحد المساجد الشهيرة أقيم عزاء المهندس توفيق، وكان حمزة ينظر إلى أدهم باستمرار نظرات غاضبة قاسية لاحظها هاني فقال له: لماذا تنظرهكذا إلى أدهم يا حمزة؟

قال حمزة: أنا أشك في هذا الولد أن يكون هو القاتل.

قال هاني: ما هذا التخريف الذي تقوله؟

قال حمزة: أنا لست بمخرفٍ. هذا الولد كان على خلاف مع والدك بعد أن رفض خطبته لديما، وبالتالي لديه دافع قوي لارتكاب تلك الجريمة.

وقال أسامة: لا يا حمزة. أنا أستبعد ذلك تماماً. فأدهم شاب هادئ الطباع.

قال حمزة: هادئ الطباع؟ إذن لنجعل التحقيق هو الذي يظهر لنا إن كان هادئ الطباع أم قاتل ماهر يجيد تمثيل دور الملاك البريء.

قال أسامة: أتنوي القبض عليه؟

قال حمزة: بكل تأكيد.

نظر إليه أسامة، وهاني دهشة وقال هاني: لا تجعل خصومته لك في حب ديما تنسيك ضميرك يا حمزة فترمي بريئاً في السجن.

قال حمزة: اطمئن يا هاني ضميري سيكون مرتاح تماماً.

وبالفعل تم التحقيق مع أدهم، وعندما سئل عن مكان تواجده وقت ارتكاب الجريمة لم يجيب، والتزم الصمت فقررت النيابة حبسه على ذمة التحقيق لمدة أربعة أيام، وألقي بأدهم داخل غرفة السجن التابعة للقسم، ووسط الظلام، ومحترفي الإجرام جلس على الأرض يعتصره الحزن، وكان كل تفكيره متجهاً نحو ديما فماذا ستقول عنه الآن بعد أن أتهم بقتل والدها. هل ستصدق أنه بالفعل هو القاتل أم ستظل ثقتها به موجودة، ولن تتخل عنه.

وبينما هو غارق في تفكيره، وحزنه فتح باب غرفة السجن، ودلف إليها شخص يرتدي بدلة ضابط شرطة، وأخذ يسير ذلك الضابط نحو أدهم الذي ما أن أمعن النظر في وجهه حتى اكتشف أنه حمزة فقال أدهم: حمزة!

قام حمزة بجذب أدهم من ملابسه بقوة وهو يقول: أسمي حضرة الضابط حمزة.

نهض أدهم من مجلسه نتيجة جذب حمزة له وقال: ستظل في نظري حمزة ثقيل الظل، والذي لا يحبه أحد لتكبره، وغروره.

ضحك حمزة وقال: أتعلم أن ثقيل الظل المغرور المتكبر هذا هو الذي ألقاك في غياهب هذا السجن؟

قال أدهم دهشاً: أنت!؟ ولماذا يا حمزة؟ أبلغت كراهيتك لي كل هذا الحد؟

قال حمزة: أنت لم ترى شيئاً بعد أيها القاتل.

قال أدهم: أنا لم أقتل أحداً.

قال حمزة: لا يهم أن كنت القاتل أم لا. المهم إنك تظل سجيناً ملقياً هنا على الأرض وسط ذلك الظلام حتى تتعلم كيف لا تقحم نفسك في تحدي مع حمزة كامل الأسيوطي بعد ذلك.

قال أدهم: لا تظن إنك بهذه الطريقة ستحصل على ديما. ديما لا تحبك، وأنت بالنسبة لها لست سوى شخص ثقيل الظل، غبي متكبر.

قال حمزة منفعلاً: اخرس أيها الحقير.

وقام حمزة بضرب أدهم، ولكمه بقوة فسقط أرضاً، فأخذ أدهم يركله بقدمه، ولكن رغم ذلك قال أدهم: حتى لو قتلتني ستظل ديما تحبني أنا، وأنت لو كنت آخر رجل في الكرة الأرضية لظلت ديما تنفر منك، وتظل تكرهك.

قام حمزة بركل ساق أدهم بقوة ثم غادر غرفة السجن.

****

في منزل أسرة المهندس توفيق آتى حمزة لزيارتهم وقد بدت عليه السعادة، وجلس حمزة مع زوجة المهندس توفيق، وأسامه، وهاني.

وقال أسامة: أرى السعادة على وجهك يا حمزة فهل حدث شيئاً؟

قال حمزة: لقد تم التحقيق مع أدهم اليوم في قضية مقتل عمي توفيق.

قال أسامة: هل فعلتها يا حمزة؟

قال حمزة: نعم يا أسامة، ويبدو أن شكي في هذا الولد في محله فلقد قررت النيابة حبسه لمدة أربعة أيام.

قال هاني دهشاً: أنا لا أصدق أن يفعل أدهم ذلك.

قالت زوجة المهندس توفيق: ولماذا لا يفعلها أنسيت ما فعله والدك معه، ومع والدته؟

ووصل إلى آذانهم رنين جرس الباب ففتح هاني ووجد العميد كامل.

دلف العميد كامل مع هاني إلى حيث يجلس الآخرون، وبعد أن جلس قال بغضب محدثاً حمزة: ما هذا الذي فعلته؟ أوصل بك الحد أن تبلغ عن أدهم وتتهمه بقتل المهندس توفيق؟

قال حمزة: أنا ضابط شرطة يا أبي، ولا توجد عواطف في عملنا.

قال كامل منفعلاً: هذا إن كان بالفعل هو القاتل.

قال حمزة: وما أدراك إنه ليس القاتل؟

قال كامل: وما أيقنك أنت إنه القاتل؟ هل اعترف لك؟

قال حمزة مرتبكاً: لو لم يكن القاتل ما احتجزته النيابة.

قال كامل: ليس معنى احتجاز النيابة له إنه القاتل فمازالت التحقيقات مستمرة. لقد تقابلت مع وكيل النيابة الذي يحقق معه فأخبرني إنه لو علم أين كان أدهم وقت ارتكاب الجريمة لأفرج عنه.

قال حمزة: ولماذا لم يخبرهم بمكان تواجده إن كان بالفعل بريئاً؟

هنا أتت ديما من الداخل قائلة:

_ لأنه كان معي.

جلست نادية مع الرجل الغريب داخل شقتها، وبدا عليها الحزن الشديد، وقالت: كيف سنخرج أدهم من هذه الورطة؟

قال الرجل الغريب: لا تقلقي يا نادية فمؤكد سيخرج أدهم من محبسه في أقرب وقت.

قالت نادية: أرجوك لا تتركني هذه الفترة. أنا بالفعل في حاجة إليك هذه الأيام.

ابتسم الرجل الغريب وقال: عجيب أمر هذه الحياة. من رأك وأنت تحدثيني منذ أسبوع فقط لن يصدق إنك نفس المرأة التي تحدثني الآن.

قالت نادية: حياة أدهم، ومستقبله أهم عندي من كل شيء.

قال الرجل الغريب: تأكدي أن ذلك يهمني أنا أيضاً. يهمني كثيراً.

نهض حمزة من مجلسه منفعلاً وقال لديما: ما هذا الذي تقولينه. هل جننتِ؟

قال هاني غاضباً: من فضلك يا حمزة لا تتحدث معها بهذه الطريقة.

قال حمزة: أعذرني يا هاني لكنها استفزتني بذلك الكلام.

قالت ديما: لقد كنت مع أدهم، وكنا نجلس معاً في كازينو على النيل ثم أوصلني لقبل منزلي بقليل ثم تركني.

قال حمزة منفعلاً: أنت تقولين هذا لتخرجي هذا الولد من محبسه ليس إلا.

قالت ديما: يبدو إنك نسيت أن القتيل هو أبي. فهل سأدافع عن أدهم لو كان هو الفاعل؟

بهت حمزة بينما قال العميد كامل: إذن فلنذهب صباح غد لمقابلة وكيل النيابة لتخبريه بذلك فيعطينا أمر بالإفراج عن أدهم.

قال حمزة منفعلاً: لكن كيف تسمحين لنفسك أن تلتقي بشاب وأنتِ مخطوبة لي؟

قالت ديما: أنا لم أوافق على تلك الخطبة.

قالت جملتها، وغادرت المكان متوجهة إلى غرفتها.

تم الإفراج عن أدهم، ووقف بين والدته، والعميد كامل، وهاني، وديما، ورغم إثبات براءته إلا أنه كان يبدو على وجهه الحزن فقالت له والدته: لماذا تبدو حزيناً يا أدهم؟

قال أدهم: لقد كان صعباً عليِ يا أمي تحمل ذلك الإتهام الشنيع بقتل عمي الذي كنت أحبه، وأقدره. حتى بعد أن رفض زواجي من ديما لم يتأثر حبه بداخلي.

ربت هاني على ظهره، وقال له: لا تحزن يا أدهم فلقد كنت أنا وأسامه كلنا ثقة في براءتك، ولم نشك لحظة واحدة فيها.

كانت ديما تستمع إلى كلام أدهم فاستشعرت ألمه ومرارته فانسابت العبرات من عينيها، وتمنت لو أنها تستطيع احتضانه لتعوضه بحنانها عن ذلك الألم.

وقال العميد كامل: أرجوك يا أدهم لا تغضب من حمزة لقد فهم الموضوع خطأ، ولقد طلب مني أن أبلغك اعتذاره.

ابتسم أدهم ابتسامة سخرية وقال: اعتذاره مقبول يا سيادة العميد. أشكرك.

قال كامل مبتسماً: والآن ما رأيكم أن أقوم بدعوتكم على الغداء في المكان الذي تختارونه.

قال أدهم: لا داع لذلك سيادة العميد فأنا متعب، وأريد الذهاب إلى البيت لأستريح.

واستأذن أدهم من الجميع، وسار مبتعداً عنهم، وسارت خلفه والدته بينما أخذت ديما تتابعه بعينيها الغارقتين في الدموع.

اتصلت ديما بأدهم، وكان الإثنان في حالة نفسية سيئة فغلف الحزن حديثهما، وقالت ديما: لمادا كان يبدو عليك هذا الحزن الشديد يا أدهم؟

قال أدهم: لقد شعرت بالإنكسار يا ديما. ففي الوقت الذي كان يجب أن أقف فيه جوارك يلقى بي في السجن وسط اللصوص، والقتلة، وبتهمة حقيرة. قتل عمي الذي اعتبره بمثابة أبي. ثم يأتي هذا المتكبر المغرور حمزة مستغلاً سلطته، ويقوم بضربي واهانتي داخل محبسي.

قالت ديما بغضب: يا له من حقير.

قال أدهم: لولا والده العميد كامل الذي أقدره، وأحترمه لانتقمت منه أشد انتقام.

قالت ديما: العميد كامل يحبك يا أدهم لقد لمست ذلك بنفسي فلقد كان في شدة الغضب على حمزة لأجلك.

****

بعد ذلك بعدة أيام ذهب حمزة، وجومانة لزيارة أسرة المهندس توفيق، وتسأل جومانة عن ديما فتخبرها والدتها إنها في حالة نفسية سيئة ولا تفارق حجرتها إلا قليلاً حتى كليتها لا تذهب إليها.

قال حمزة: كان الله في عونها فمقتل المهندس توفيق أثر بنا جميعاً فما بالك هي.

قالت جومانة: أنا أخشى عليها أن تصاب بالاكتئاب لذلك يجب أن نخرجها من حالتها هذه.

قالت والدة ديما: لقد حاول معها أسامة وهاني لكن دون فائدة.

قالت جومانة: أسمحي لي يا طنط أن أدخل إليها فلربما استطعت إقناعها أن تخرج معي أنا وحمزة فحمزة الآن خطيبها بحكم الإتفاق الذي كان قد تم مع عمي الراحل المهندس توفيق.

قالت والدة ديما: معك حق يا ابنتي. هيا ادخلي إليها.

غادرتهم جومانة فقال هاني: يبدو يا أمي إنكِ وحمزة نسيتما أن ديما ترفض هذه الخطبة.

قال حمزة: هذا كلام فارغ. لقد اتفقت أنا وأبي مع المهندس توفيق، وانتهى الأمر يا هاني. أم أن كلام والدك لم تعد له أهمية بعد أن توفى؟

قال هاني بحدة: ما هذا الذي تقوله يا حمزة؟ طبعاً نحن نهتم بكلام والدي، ولكن ديما لا تريدك.

قال حمزة بخبث: وأنت يا زوجة عمي هل سترمي بكلام عمي معنا إلى البحر. أم ستحافظين على وعده لنا؟

قالت والدة ديما: لابد أن يسير كل شيء كما أراده والدك يا هاني.

قال هاني: ولكن يا أمي..

قاطعه حمزة قائلاً: انتهى يا هاني. فبعد كلام الكبار لابد أن نصمت جميعاً.

نظر إليه هاني بغضب، وتركهما، ودلف إلى غرفته، بينما عادت إليهما جومانة فقالت لها والدة ديما: لماذا عدت سريعاً يا جومانة؟

قالت جومانة: لقد استقبلتني ديما بجفاء شديد، وأخبرتني إنها تريد أن تنام.

قال حمزة: هل أخبرتها إنني هنا؟

قالت جومانة: نعم أخبرتها.

وهنا رن جرس الباب فخرج هاني من غرفته، وفتح باب الشقة فوجد أمامه أدهم، وقد طالت لحيته، ودخل هاني مصطحباً أدهم إلى حيث تجلس والدته، وحمزة، وجومانة، وكاد الغيظ يقتل حمزة ما أن وقعت عيناه على أدهم.

قام أدهم بتقبيل رأس زوجة عمه، وأخذ يعتذر لها عن عدم حضوره إليهم الفترة الماضية، وقام بمصافحة جومانة ثم جلس دون أن يعير حمزة اهتماماً، وجلس يتحدث مع زوجة عمه وهاني بحزن بينما جلس حمزة ينظر إليه بكل كراهية الدنيا، وخرجت إليهم ديما، وقامت بمصافحة أدهم ثم جلست، وكأنها لم ترى حمزة الذي بدا عليه الغضب من ذلك التصرف فقال: ألا يوجد أحد آخر في هذه الجلسة سواه لتصافحيه وحده أم إنك لم تريني؟

قالت ديما بحدة: فعلاً يا حمزة. أنا لا أراك نهائياً.

ابتسم أدهم فنظر إليه حمزة قائلاً: علام تبتسم؟ ثم ما هذه اللحية. أصرت إخوانياً أم ماذا؟

قال أدهم مصطنعاً الابتسامة: هل هذه تهمة جديدة تريد إلصاقها بي؟ تأكد يا حمزة إنك لن تستطيع التخلص مني بتلك السهولة.

قال حمزة بجدية: وتأكد أنت إني لو وضعتك في رأسي فلن ترى الشمس مرة أخرى.

وساد الصمت الجميع دهشين مما قاله حمزة، وأخذوا ينظروا لبعضهم البعض، وانصرف حمزة، وجومانة، وبينما هما في الطريق قال حمزة وهو يقود السيارة: أرأيت كيف غادرت ديما غرفتها، وخرجت إلينا عندما جاء أدهم؟

قالت جومانة بحزن: نعم رأيت. قال حمزة بغضب:

لقد زاد الموضوع عن حده للغاية. لذلك لابد أن أفعل شيء يجعلهما يفترقان عن بعضهما للأبد.

****

الفصل الثامن

الوقيعـــة

خرجت ديما من كليتها، وما أن خرجت حتى رن هاتفها المحمول فنظرت إلى شاشته فوجدت أسم حمزة فامتعضت، وفجأة مرت بجانبها دراجة نارية خطف قائدها الهاتف المحمول من يدها، وانطلق مسرعاً وسط صراخ ديما، وهنا ظهر حمزة يقود سيارته الخاصة وقال لديما: لقد رأيت ما حدث. هيا اصعدي إلى جواري لنتبع قائد الدراجة النارية.

وبالفعل جلست ديما جوار حمزة الذي انطلق بالسيارة خلف قائد الدراجة النارية

وفي فناء كلية الإعلام وقف أدهم مع جومانة، وكان أدهم مازال ملتحياً فقالت له جومانة: أتعرف أن اللحية تعطيك مظهراً جذاباً.

قال أدهم: حقاً؟ لقد كنت أنوي حلاقتها.

قالت جومانة: أدهم أنا لا أريدك أن تغضب من حمزة. هو أحياناً كثيرة يكون غبي في تصرفاته لكنه طيب القلب.

ابتسم أدهم وقال: نعم أعرف أنه غبي.

قالت جومانة بخبث: مشكلة حمزة إنه لا يتنازل بسهولة عن شيء يريده فطالما أراد شيئاً حتماً سيناله.

فهم أدهم ما ترمي إليه فقال: تأكدي إنه ليس دائماً ينال المرء ما يسعى إليه خاصة لو كان غير مرغوب فيه من الطرف الآخر.

****

ظل حمزة يتبع قائد الدراجة النارية حتى وصل إلى هضبة المقطم، وتوقف قائد الدراجة النارية، وكذلك أوقف حمزة سيارته، وهبط منها فأخرج اللص قائد الدراجة النارية من طيات ملابسه مدية أخذ يحركها ليخيف بها حمزة بينما صرخت ديما قائلة: احترس يا حمزة.

ولكن حمزة لم يبالي بمدية اللص، وكال له لكمة قوية أسقطت اللص أرضاً، وسقطت المدية من يده فقام حمزة بجذب اللص من ملابسه، وأنهضه، وأخذ يصفعه ثم فجأة قام اللص بدفعه دفعة قوية، وأسرع نحو دراجته النارية، وانطلق بها مرة أخرى.

أسرع حمزة إلى داخل سيارته، وأخذ يدير محرك السيارة لكنه لم يدار فهبط من السيارة، وأتجه نحو موتور السيارة، واصطنع أنه يقوم بإصلاحه، وقام بالإتصال بجومانة التي كانت ما زالت تقف مع أدهم، وقالت جومانة محدثة حمزة وقد ضغطت على مكبر الصوت حتى تجعل أدهم يسمع حديثهما: ما الأخبار يا حمزة، وأين أنت؟

قال حمزة: أنا في هضبة المقطم ومعي ديما، الطقس هنا رائع، ونستمتع بوقتنا كثيراً

صعق أدهم من هذا الكلام فبدا عليه الغضب الشديد.

قالت ديما بخبث: ديما معك؟ أنا لا أصدقك. اجعل المكالمة مرئية صوت وصورة وأرني إياها.

بالفعل قام حمزة بجعل المكالمة مرئية فظهرت ديما تجلس داخل السيارة، وأظهر حمزة صورة للمكان الذي يقفا فيه وهو يقول: ها هي ديما تجلس داخل سيارتي، وهذه صورة لمنطقة هضبة المقطم التي نجلس بها.

وأثناء ذلك قامت ديما بالنداء على حمزة ووصل صوتها إلى أذني أدهم الذي كاد يفقد عقله مما يراه ويسمعه، وقال حمزة: أتركك الآن يا شقيقتي الغالية فديما تريدني.

وبالفعل أنهى حمزة المكالمة.وقال أدهم منفعلاً: أنا لا أصدق هذا. مؤكد هناك خدعة. ديما لا يمكن أن تفعل ذلك.

قالت جومانة: لا تخدع أنت نفسك يا أدهم لقد رأيتها بعينيك تجلس داخل سيارة حمزة في مدينة المقطم، وسمعت صوتها أيضاً. أنا كنت أعرف أن ديما مع حمزة الآن لكني لم أشأ أن أخبرك حتى لا تغضب. لقد اتصلت ديما صباح اليوم بحمزة وقالت له إنها بدأت تشعر بميل تجاهه، وإنها ستنفذ وصية والدها، وتوافق على خطبته لها، وطلبت منه أن يلتقيان حتى يتقربا من بعضهما.

قال أدهم: هذا مستحيل. أنا لا أصدق.

قالت جومانة: مهما قلت لك فلن تقتنع فما رأيك أن نذهب إليهما؟

أمسك أدهم بهاتفه، وأخذ يتصل بديما لكن لم يأتيه رد.

فقال أدهم دهشاً: أنها لا تجيب.

قالت جومانة: وكيف ستجيبك وهي مع حمزة.

ووصلت لأدهم رسالة فقال: إنها رسالة من ديما.

فتح أدهم الرسالة فوجد مكتوب بها:

أنا في البيت ومتعبة. لا تتصل بي الآن.

قال أدهم بغضب: تقول إنها في البيت متعبة.

قالت جومانة: لم أكن أعلم إنك بمثل هذه السذاجة يا أدهم. لقد رأيتها وسمعت صوتها وهي مع حمزة، ورغم ذلك لا تصدق. قم إذن بالإتصال بها على الهاتف الأرضي لتتأكد من صحة كلامها.

نظر أدهم إلى جومانة ثم قام بالإتصال، ورد عليه هاني ثم قال أدهم: لقد أخبرتني جومانة ونحن في الجامعة أن ديما عادت إلى البيت متعبة فكيف حالها الآن؟

قال هاني: ديما بخير لكنها ما زالت في كليتها، ولقد أرسلت رسالة إلى هاتف أمي منذ قليل لتخبرنا إنها ستتأخر اليوم في الكلية، وأخبرتنا أن هاتفها ستنفذ منه طاقته.

بدا الحزن على أدهم وقال: حسناً يا هاني. كنت فقط أريد الاطمئنان عليكم.

وأنهى أدهم المكالمة، وهو يكاد يجن فقالت له جومانة مبتسمة: أرأيت كم هي كاذبة؟

قال أدهم: سأذهب إليهما؟

ركض أدهم متجهاً نحو سيارته، وخلفه جومانة.

وفي المقطم خرجت ديما من السيارة غاضبة، وقالت: إلى متى سنظل هنا يا حمزة؟ أفعل شيئاً.

قال حمزة: لقد اتصلت بمختص في تصليح السيارات، وهو قادم إلينا. أنا آسف يا ديما لعدم تمكني من إعادة الهاتف من اللص إليك.

ثم ذهب حمزة، وأحضر زجاجتا مياه غازية، وكيسين مقرمشات، وأعطى منهم لديما قائلاً: تفضلي حتى لا تشعري بملل أثناء الإنتظار.

ووصل أدهم إلى بداية الطريق المؤدي إلى قمة مدينة المقطم، وهو طريق متصاعد من حارة واحدة تسير بها السيارات الصاعدة إلى هضبة المقطم والمغادرة منها في ذات الوقت مما يجعله طريق شديد الخطورة، وكان أدهم يقود بسرعة جنونية لا تنبغي أبداً في ذلك الطريق مما جعل جومانة تشعر بخطر الموت في كل لحظة، وأخذت تطالب أدهم بتهدئة السرعة لكن دون جدوى فلقد كان أدهم في حالة من الغضب المجنون، ووصلت سيارة أدهم أخيراً إلى حيث وقف حمزة وديما التي كانت تشرب زجاجة المياه الغازية، وسار أدهم نحوهما بسيارته مسرعاً وفوجئت ديما بسيارة أدهم تتجه نحوها هي وحمزة، وعلى وشك أن تصدمهما فصرخت ديما بينما ألقى حمزة بنفسه بعيداً عن اتجاه سير السيارة، ولكن أدهم أوقف السيارة في الوقت المناسب، وهبط منها كالمجنون، واتجه إلى ديما مسرعاً، وهو يقول بغضب شديد: أتخدعيني يا ديما. تخدعيني وتخونينني؟ ثم قام بصفعها عدة مرات، وهي تصرخ قائلة: أجننت يا أدهم؟ لماذا تفعل ذلك؟

توقف أدهم عن صفعها وقال: هنيئاً لك بحضرة الضابط أيتها المخادعة الحقيرة. ثم تركها، وأسرع نحو سيارته بينما احتضنت جومانة ديما بقوة حتى لا تمكنها من الذهاب إلى أدهم، وانطلق أدهم بسيارته يكاد ينفجر غضباً.

****

بعد أن عادت ديما إلى منزلها، وهي في حالة مزيج من الغضب، والحزن دلفت إلى غرفتها، وألقت بجسدها على الفراش، وراحت في نوبة بكاء هيستيرية. أما أدهم فلقد وقف وسط غرفته، وأخذ يروح، ويجيء فيها كالمجنون، يحدث نفسه وهو في قمة الدهشة قائلاً: لماذا فعلت بي هذا؟ لماذا كانت تخبرني إنها لا تستطيع العيش بدوني؟ أفي يوم وليلة تبدل قلبها وصار قلب آخر؟ يا لها من ممثلة محترفة أجادت دور العاشقة باقتدار. يا لها من مخادعة استطاعت أن تجعلني أظن إنها بالفعل تحبني. لماذا فعلت بي ذلك يا ديما؟ ماذا فعلت لكِ لتقتليني هكذا.

وأخذ يضرب بيده وسائد الفراش، وانهار باكياً، ووصل إلى أذنيه رنين جرس الباب فاعتدل في مجلسه، وأزال دموعه عن وجهه، وذهب ليرى من القادم فوجد الرجل الغريب أمامه فقال أدهم: أنت!؟

قال الرجل: هل جئت في وقت غير مناسب؟

قال أدهم: تفضل.

دلف الرجل إلى داخل الشقة، وجلس على أحد مقاعد غرفة الإستقبال، وقال: أرى الحزن يرتسم على وجهك. ماذا حدث؟

جلس أدهم على المقعد المواجه للرجل ولم يجيب على سؤاله فاستطرد الرجل قائلاً: افتح لي قلبك يا أدهم. حدثني فأنا مثل والدك، ولي من الخبرة، والتجارب ما يمكنني من حل مشكلتك إن كان لديك مشكلة.

شعر أدهم بالارتياح للرجل فأخذ يقص عليه حكايته مع ديما فنهض الرجل من مجلسه وقال: هذه الفتاة لم تكن تحبك يا أدهم فلو كانت تحبك ما تنازلت عنك بهذه السهولة.

قال أدهم: كيف لم تكن تحبني؟ أكانت تخدعني كل هذه السنوات، ولماذا؟

قال الرجل: لقد كان أي شيء آخر غير الحب. ربما كان إعجاب، أو حب تملك. النساء عامة يا أدهم قلوبهن سهلة التغّير، وكذلك عقلهن كل يوم له حال مختلف عن اليوم السابق فلا تثق أبداً في امرأة يا أدهم. فكن ذكياً، ولا تستسلم لذلك الشيء الذي يسمونه الحب ذلك الأسم الراقي الذي يستتر خلفه الأسم الحقيقي لتلك العلاقة بين الرجل والمرأة.

قال أدهم دهشاً: وما هو الإسم الحقيقي لعلاقة الرجل والمرأة إن لم يكن الحب؟

قال الرجل: ما يريده الرجل من المرأة، وتريده هي أيضاً، ويخجل كل منهما عن الإفصاح بحقيقة ذلك. الجنس يا أدهم هو المصطلح الحقيقي لما تطلقون عليه اسم الحب.

قال أدهم: أنا لا أوافقك الرأي.

قال الرجل: أنظر إلى أي زوجين تزوجا عن حب شديد، ولاحظ كيف حال علاقتهما ببعضهما بعد الزواج هل مازال بينهما ذلك الحنين، والاشتياق، والكلام المعسول الذي كان بينهما قبل الزواج؟ مؤكد اختلف الأمر. أتعرف لماذا؟ لقد كان كل منهما قبل الزواج يرى الآخر داخل هالة من الخيال فيراه الأجمل، والأقوى، وليس له مثيل بين البشر فيكون هناك اشتياق دائم من الطرفين، للاحتضان، وتبادل القبلات، والحصول على المداعبات الجسدية. أما بعد الزواج وبعد أن وصل كل منهما إلى مبتغاه من جسد الآخر وتشبع منه، يحدث ما يحدث بين كل الأزواج وهو الفتور العاطفي، ورغم ذلك تستمر العلاقة الحميمة بينهما قائمة فهي أساس العلاقة بين أي زوجين.

قال أدهم:أنا لم أجد في كلامك حلاً لمشكلتي.

قال الرجل: حل مشكلتك أن تقتنع إنه لا يوجد شيء اسمه الحب يا أدهم، وكما كانت ديما تتلاعب بك، وتركتك في النهاية تلاعب أنت أيضاً بهن، واستمتع بأجسادهن.

قال أدهم محتداً:

_ لا. أنا لست من هذه النوعية.

قال الرجل منفعلاً:

_ لابد أن تكون كذلك يا أدهم. لابد أن تكون ذئباً عندما تكثر حولك الغزلان.

****

في اليوم التالي داخل كليتهما وقفت جومانة تتحدث مع أدهم قائلة:

_ لابد أن تتخلص من ذلك الحزن الذي يسكن قلبك يا أدهم فديما لا تستحق أن تحزن لأجلها دقيقة واحدة. لقد كانت تخدعك، وتتلاعب بمشاعرك.

قال أدهم منفعلاً: ولماذا؟ لماذا كانت تخدعني. لماذا كانت تغضب عندما ابتعد عنها. لماذا كانت تتملكها الغيرة من أي فتاة تتحدث معي؟

قالت جومانة: أنها ممثلة رائعة أجادت تمثيل ذلك الدور عليك. إنساها يا أدهم، وانظر حولك فمؤكد ستجد من تحبك بصدق حب حقيقي.

قال أدهم: لقد كرهت ذلك الشيء المسمى بالحب، وفقدت الثقة به، وبكل الفتيات.

قالت جومانة: لا يا أدهم. الذنب ليس ذنب الحب. الذنب ذنبك لأنك أسأت الاختيار. تأكد يا أدهم أن هناك من تحبك بصدق، وتأمل أن تظل جوارك طول العمر.

قال أدهم: ومن هذه؟

صمتت جومانة، والتقت أعينهما، وابتسمت جومانة بخجل ثم هربت بنظرها نحو الأرض فقال أدهم: جومانة. أنتِ تحبينني؟

قالت جومانة بخجل: منذ سنوات طوال يا أدهم. أنت من أشعلت فتيل الحب بداخلي، وأنا مازلت طفلة لا تعي شيء، وظل حبك ينمو داخل قلبي يوم بعد يوم، حتى صدمت بمعرفة حبك لديما، ولكن رغم ذلك ظللت أحبك.

نظر أدهم إليها صامتاً للحظات، وتذكر كلام الرجل الغريب معه ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وقال: ما رأيك أن نذهب لنجلس في مكان هادئ خارج الجامعة؟

ابتسمت جومانة وقالت: كما تحب.

وانطلق الإثنان معاً داخل سيارة أدهم الذي قال: أرجو أن تعجبك سيارتي هي موديل قديم لكنها مازالت تحتفظ بجودتها.

قالت جومانة: لو وضعتني داخل حذائك هو بالنسبة لي أفضل من أفخر أنواع السيارات فوجودي معك يا أدهم هو كل السعادة والمتعة بالنسبة لي.

قال أدهم مبتسماً: سأغتر في نفسي هكذا؟

قالت جومانة: اغتر كما تشاء يا حبيبي. قال أدهم بجدية:

_ ألن يأت يوماً، وتتبدل فيه مشاعرك نحوي؟

قالت جومانة: من يحب بصدق يا أدهم لا ينسى حبه أبداً.

ابتسم أدهم بسخرية، وذهب بذاكرته إلى ديما وكلمات العشق التي كانت تسمعه إياها.

مرت ثلاثة أيام عاشت فيهما ديما أسوء ساعات حياتها فهي منذ عرفت أدهم، ونشأ بينهما الحب لم يحدث ما يعكر صفو علاقتهما، ولم يتغيب هو أو صوته عنها يوماً. لذلك كان شوقها إليه جحيماً ألهب عقلها، وقلبها، وعصف بكل كيانها فلم تعرف طعماً للنوم، وباتت غارقة في بحار الفكر وسط زلازل من

الدموع أنهكت خديها، وكان أكثر ما تفكر فيه هو كيف استطاع أدهم أن يستجيب لظن السوء، ويعتقد إنها كانت تخونه مع حمزة. هي لم تغضب لضربه لها بقدر ما أغضبها فقدانه الثقة بها، وبحبها له.

واشترت ديما هاتفاً جديداً، واستخرجت نسخة أخرى بديلة لشريحة الهاتف المسروق، وكان شعورها بالاشتياق نحو أدهم يلح عليها بالإتصال به، فحدث بداخلها صراعاً عنيفاً بين قلبها وعقلها. صراع انتصر فيه عقلها المنحاز إلى كبرياؤها، وكرامتها على قلبها الشغوف والمتشوق للعودة إلى مصدر نبضاته، وحياته. مشتاق إلى الوجود جوار أدهم.

وتوالت الأيام عليها يزداد مرارها يوم عن اليوم الذي قبله، وصارت غرفتها ملجئها الوحيد لا تغادرها إلا للضرورة القصوى حتى كليتها لم تعد تذهب إليها إلى أن تحدثت معها والدتها، وكذلك شقيقاها الذين ظنوا أن ما بها نتيجة لحزنها على فراق والدهم، وطالبها أسامة أن تخرج من تلك الحالة وتعاود الذهاب إلى كليتها.

أما أدهم فلقد كان هو الآخر في قمة الشوق إلى ديما، وفي ذات الوقت في قمة الغضب والحنق عليها، واستغلت جومانة ذلك فأخذت تتقرب منه، وتفعل كل ما بوسعها لتقربه منها، وكانت تلتقيه في الجامعة، ثم بعد أن تعود إلى منزلها تقوم بالإتصال به ربما مرتان أو ثلاث يومياً حتى لا تعط له الوقت كي يفكر في ديما.

وأخيراً تحت ضغط وإلحاح أسرتها قررت ديما العودة إلى كليتها، وفي نهاية اليوم ما أن خرجت ديما من كليتها فوجئت بنداء شخص عليها فنظرت تجاه الصوت فوجدت الرجل الغريب يطلب الحديث معها قائلاً: أنا صديق للدكتور محمود والد أدهم. لقد كنت مسافراً، وعدت منذ فترة قريبة، وصار أدهم مثل ابني تماماً، ولقد قص عليِ ما حدث بينكما، أنه يشعر بندم شديد على ما فعله معك، وكان يريد أن يأتي لزيارتكم اليوم في منزلكم لولا أنه أصيب في ساقه فظل قعيداً في منزله يتألم لعدم استطاعته الذهاب، والإعتذار إليكِ.

قالت ديما بلهفة: وكيف هو الآن، وما الذي أصاب ساقه؟

قال الرجل: إنه في حالة سيئة. آه يا ابنتي لو تستطيعين الذهاب إليه لكان ذلك خير لكِ وله. خاصة أن والدته معه فلن يكون هناك حرج من ذهابك إليه.

قالت ديما: حسناً. سأذهب إليه. أشكرك للغاية.

قال الرجل مبتسماً: المهم ألا تخبري أدهم بأني الذي أخبرتك.

قالت ديما مبتسمة: مفهوم. أشكرك مرة ثانية.

ترك الرجل ديما، وعلى وجهه ابتسامة خبيثة، بينما أسرعت ديما، وأخذت تبحث عن سيارة تقلها إلى منزل أدهم، وعلى وجهها ابتسامة واسعة، وكأن الحياة قد عادت إليها مرة أخرى. أما أدهم فلقد كان يجلس في غرفته يشاهد أحد الأفلام عندما وصل إلى أذنيه رنين جرس الباب، وفتح أدهم

الباب وبدت على وجهه الدهشة وصمت للحظات ثم قال: ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟

ابتسمت جومانة وقالت: اشتقت إليك.

دلفت جومانة إلى داخل الشقة فاستوقفها أدهم قائلاً: أنا هنا بمفردي يا جومانة.

وضعت يدها على صدره، ونظرت إلى عينيه، وقالت بدلال: هل تخشى على نفسك مني؟

اقتربت بوجهها من وجهه، ووضعت يدها على خده تتحسسه، وأغمضت عينيها في دعوة صريحة لتقبيل شفتيها، ولم يخذلها أدهم فأطبق بشفتيه على شفتيها، ونسى أنه لم يغلق باب الشقة، وهنا وصلت ديما فوجدت الباب مفتوحاً فدهشت، وخطت خطوة واحدة إلى داخل الشقة فرأت ذلك المشهد الذي جعل الدنيا تدور بها، وشعرت كأنها داخل كابوس، وتسمرت في مكانها تنساب من عينيها الدموع بينما عصفت الشهوة بأدهم فجذب جومانة من يدها، وتوجه بها إلى داخل غرفته، وبكت ديما، وانتحبت حتى أدركت إنها لا ينبغي لها البقاء في هذا المكان فأسرعت بالانصراف، وما زالت الدموع تنهمر من عينيها.

في اليوم التالي بينما كانت ديما في كليتها أمسكت هاتفها بعصبية، واتصلت بحمزة، وطلبت منه أن يأتي إليها عند كليتها لأمر هام، وبالفعل التقى حمزة بها أمام كليتها، وأخذها داخل سيارته، وكان يبدو عليها الحزن الشديد

فقال لها حمزة: ما هو الأمر الهام الذي تريديني فيه يا ديما؟

قالت ديما والدموع تتلألأ داخل مقلتيها: لقد وافقت على خطبتك لي.

تهلل وجه حمزة، وبدا عليه السعادة وقال: حقاً يا ديما. أنا في قمة السعادة لسماعي هذا الخبر.

انسابت الدموع من عيني ديما فلقد كان هذا القرار بمثابة قرار انتحار لا تعلم هي نفسها لماذا اتخذته، ولقد لاحظ حمزة تلك الدموع لكنه لم يهتم بها، واستطرد قائلاً: تأكدي يا ديما أني سأبذل كل جهدي في سبيل إسعادك. أنت لا تعلمين كم أحبك يا ديما.

قالت ديما وهي تجفف دموعها بمنديل ورقي: أين جومانة الآن؟

قال حمزة: اعتقد إنها في كليتها.

قالت ديما: ما رأيك أن تتصل بها لنحدثها سوياً.

اتصل حمزة بجومانة التي كانت تقف مع أدهم، وأخذ حمزة يحدثها، وأخبرها أن ديما معه فصاحت ديما بخبث: ديما معك.

أنتفض قلب أدهم، وتسارعت نبضاته، وشعر بالغضب. بينما أخذت ديما الهاتف من حمزة وقالت لجومانة: سأتناول الغداء مع حمزة. ما رأيك أن تأتي معنا؟

قالت جومانة مبتسمة وهي تنظر إلى أدهم: لا يا ديما. اذهبي أنتِ وحمزة واستمتعا بوقتكما. غداءً شهياً حبيبتي.

كادت الدموع أن تتساقط من عيني أدهم لولا أن تمالك نفسه، وانهت جومانة الحديث الهاتفي وقالت لأدهم: حمزة، وديما سيذهبان لتناول طعام الغداء معاً، وكانا يريدانني أن أذهب معهما فرفضت حتى نظل معاً.

بدا الحزن على وجهه، ولم يعقب فاستطردت جومانة قائلة: أمازلت تحبها؟

قال أدهم منفعلاً: بل أكرهها. أكرهها من أعماق قلبي.

ولمعت عيني أدهم ببريق من الدموع فقالت جومانة: أرجوك يا أدهم تمالك أعصابك، ولا تبك. نحن في مكان عام.

قال أدهم: أنا لن أبك على شخص باعني فاطمئني.

قالت جومانة بميوعة: ما رأيك أن نذهب إلى البيت عندك؟

قال أدهم بحدة: أرجوك يا جومانة لا تذكريني بما حدث بالأمس فأنا نادم عليه بشدة. فأنا لن أقبل أن أطعن عمي كامل في شرفه. قالت جومانة: مادمت تهتم بشرف عمك كامل ينبغي عليك إذن أن تتزوجني.

نظر إليها نظرة قوية وقال دهشاً: نتزوج!؟

قالت جومانة: نعم نتزوج. أم تراني سقطت من نظرك بسبب ما حدث بالأمس؟

قال أدهم: لا. كل ما في الأمر أنه لم يخطر ببالي موضوع الزواج هذا من قبل.

قالت جومانة: ولم يا أدهم ألا تحبني؟

صمت أدهم ولم يتحدث فاستطردت جومانة قائلة: يبدو إنك مازلت تحبها رغم كل ما فعلته بك؟

قال أدهم بحدة:

_ أرجوك يا جومانة لا تتحدثي عن ذلك الموضوع مرة أخرى، أنا فقط أحتاج لبعض الوقت للنسيان، ووجودك جواري سيساعدني على ذلك.

****

الفصل التاسع

مصحـــة نفسيـــة

ساءت حالة ديما النفسية عن المرة السابقة، ولقد كان قرارها بالموافقة على خطبة حمزة لها أشبه بخنجر مسموم طعنت به قلبها ظناً منها أن الطعنة ستصيب أدهم الذي يسكن بداخله لكنها اكتشفت إنها الوحيدة التي تضررت من تلك الطعنة. فها هو أدهم يلهو، ويستمتع، وربما بدأ في قصة حب جديدة مع جومانة، وأخذت الأفكار السلبية الهدامة تتداخل بكثرة إلى رأسها فزادوها رهقاً، وكثرت كوابيسها، وزهدت الطعام فنحل جسدها، وسارت سريعة التأثر والبكاء، وارتسمت الهالات السوداء أسفل عينيها فلم تجد أسرتها بد من الذهاب بها إلى طبيب نفسي الذي أخبر شقيقها أسامة إنها تعاني من الإكتئاب، وطلب الطبيب من أسامه أن يعتنوا بها جيداً ويلاحظوها، ولا يجعلونها تغيب عن أعينهم كثيراً فلربما تقوم بإيذاء نفسها.

لاحظت نادية تغيرات كثيرة في شخصية أدهم فلقد صار قليل الكلام معها، يبدو عليه الحزن دائماً، مقل في تناول طعامه فبدأ القلق يتمكن منها خاصة أنه لم يخبرها بما حدث بينه وبين ديما عندما سألته عن أحواله معها، وتقابلت نادية مع الرجل الغريب، وأخبرته بقلقها على أدهم فابتسم الرجل وقال: هذا طبيعي بعد أن فارق محبوبته.

دهشت نادية وقالت: ما هذا الذي تقوله!؟ أأفترق أدهم وديما؟

قال الرجل: نعم. منذ ما يقرب من أسبوعين.

قالت نادية بغضب: إياك أن تكون سبباً في ذلك.

قال الرجل متجاهلاً كلامها: غريب إنه لم يخبرك بذلك.

قالت نادية منفعلة: أخبرني ما الذي حدث بين أدهم وديما.

قال الرجل: حسناً سأخبرك.

أخذ الرجل يقص على نادية ما حدث بين أدهم وديما ثم قالت نادية: أشعر أن لك يد فيما حدث.

قال الرجل منفعلاً: نعم يا نادية. أنا من خطط لحدوث هذه الوقيعة.

قالت نادية بغضب: ولماذا؟ أتظن إنك بهذه الطريقة ستفوز بأدهم؟ أنا لن أسمح لك بهذا أبداً.

آتى العميد كامل، وزوجته، ومعهما حمزة، وجومانة للاطمئنان على ديما التي جلست بينهم صامتة تماماً تنظر إلى اللا شيء، ورغم محاولات العميد كامل مداعبتها بالكلام، ومحاولة إضحاكها إلا أنها ظلت على حالتها تلك، وأحضر هاني طبق كبير مليء بالتفاح، وبجوار الطبق سكينة، ووضع الطبق على المنضدة، وفي حركة مفاجئة سريعة التقطت ديما السكينة، وهمت أن تضرب بها نفسها لولا سرعة حمزة، وتمكنه من إمساك يدها في اللحظة المناسبة لكنها أخذت تصرخ ثم سقطت على الأرض مغشياً عليها.

أخذ العميد كامل ديما إلى طبيب نفسي صديق له فقرر الطبيب تحويلها فوراً إلى إحدى مصحات العلاج النفسي.

قالت والدة ديما باكية: هل جنت ابنتي؟

قال الطبيب مبتسماً: أنها تعاني من حالة اكتئاب حادة ليس إلا، ومعظم المصريين لديهم تلك الحالة وإن اختلفت درجاتها فلا تقلقي. ثم أن المصحة التي سنرسلها إليها هي مصحة خاصة، وليست المستشفى الشهيرة التي بالعباسية.

قال أسامة: وما ضرورة الذهاب للمصحة يا دكتور؟ ألا يمكن علاجها داخل البيت؟

قال الطبيب: في حالتها هذه أفضل المصحة حتى تكون تحت أعين الممرضات، والأطباء هناك. فهي في حاجة لمتابعة مستمرة حتى لا تقوم بإيذاء نفسها مرة أخرى.

وقفت نادية أمام الرجل الغريب تكاد تبكِ، وقالت بتوسل: أرجوك دع أدهم في شأنه.

قال الرجل: لابد أن يعلم أدهم من هو والده الحقيقي.

قالت نادية منفعلة: أنت لست والده. أقسم لك.

ضحك الرجل ضحكة غليظة مخيفة وقال: تقسمين لي!؟ هل تظني إني سأصدق كلامك هذا. أنا واثق تماماً أن أدهم هو ابني ولابد أن يعرف هذا.

عادت نادية إلى شقتها في وقت متأخر كعادتها، وبدا عليها الحزن فسألها أدهم: لماذا يبدو عليك الحزن يا أمي؟

ألقت نادية بنفسها على أقرب مقعد بحجرة الإستقبال وقالت: أعرفت ما حدث لديما؟

قال أدهم وهو يشيح بوجهه عن أمه: لم يعد لي شأن بها.

قالت نادية بحزن: حتى لو علمت إنها ستوضع داخل مصحة للعلاج النفسي؟

وقعت الجملة على أدهم كالصاعقة فقال: ماذا تقولين يا أمي؟ ماذا حدث لديما؟

قالت نادية: يبدو إنها مرت بظروف صعبة لم تستطيع تحملها فأصيبت بحالة اكتئاب حادة.

قال أدهم بغضب، وكأنه يحدث نفسه: ظروف صعبة!؟ ما هي تلك الظروف الصعبة التي تجعلها يحدث لها ذلك؟ أأنا السبب؟ أم ذلك المدعو حمزة؟

قالت نادية: قص عليِ يا أدهم ما حدث بينكما.

جلس أدهم على المقعد المجاور لأمه، وأخذ يقص عليها ما حدث بينه وبين ديما، وحمزة ثم قالت له نادية: لقد كان رد فعلك سريعاً وأحمق يا أدهم. كان لابد أن تتحدث معها وتستفهم منها لماذا أتت مع حمزة إلى المقطم. ألم يخطر ببالك إنه ربما أنتما الإثنان تعرضتما لمؤامرة من حمزة، وجومانة؟

دهش أدهم من كلام والدته وقال: ماذا!؟ هل تعرفين شيئاً يا أمي تخفيه عني؟

قالت نادية: لا. أنا لا أعرف شيئاً، ولكني واثقة من حب ديما لك، ولابد أن تذهب لزيارتها يا أدهم في أقرب وقت.

ومر الليل طويلاً على أدهم، وهو غارقاً في أفكاره، ولم يغمض له جفن، كان تارة ما يؤنب نفسه على تسرعه في مقاطعة ديما، وعدم الاستفسار منها عن سر ذهابها مع حمزة إلى المقطم، وتارة أخرى كان يقنع نفسه أن ما فعله هو الصواب فأركان خيانة ديما له كانت متوفرة، ولا يوجد دليل واحد يظهر غير ذلك، وتجاوزت الساعة الثامنة صباحاً، وهو مازال مستيقظاً، ورغم ذلك فهو لم يصل لقرار هل يذهب إلى زيارتها أم لا.

بعد الظهيرة ألحت عليه والدته أن يذهب معها لزيارة ديما، وبالفعل ذهبا سوياً، وهناك في حديقة المصحة الصغيرة تقابلا مع أسرة ديما، وكذلك العميد كامل، وحمزة، وجلس الجميع معاً في انتظار السماح لهم بالزيارة، وتبادل أدهم، وحمزة نظرات التحدي، والكراهية حتى أذن لهم بالزيارة، ودخلوا جميعاً إلى الغرفة التي تقيم بها ديما التي كانت جالسة فوق فراشها محتضنة ساقيها بذراعيها، وبدا عليها إنها شاردة في ملكوت آخر، وأخذت تنظر إليهم جميعاً في سكون إلى أن وقعت عيناها على أدهم فتهلل وجهها فرحاً، وهبطت من فوق فراشها، وأسرعت نحوه تحتضنه وسط ذهول الجميع، وخجل أدهم، وغضب حمزة.

وقالت ديما وهي تحتضن أدهم: أدهم حبيبي. أخيراً عدت إلى. هل هان عليك حبنا إلى هذه الدرجة لتتخلى عني؟

بدا الإحراج الشديد على أدهم جراء احتضان ديما له فأخذ ينظر إلى والدته كأنه يطلب منها أن تخرجه من هذه الورطة لكن حمزة أسرع تجاهه، وجذبه بشدة من بين أحضان ديما قائلاً: هل جننت. هل بلغت بك الوقاحة أن تحتضنها أمامنا جميعاً؟

لم يعرف أدهم ماذا يقول فأسرع بالخروج من الغرفة فأخذت ديما تنادي عليه بصراخ ثم ألقت بنفسها على فراشها تبكي، بينما أسرع أسامة خلف أدهم، وقام بإيقافه قائلاً بغضب: أريد أن أعرف ما الذي حدث بينك وبين ديما جعلها في هذه الحالة.

هم أدهم أن يتحدث لكن آتى إليهما حمزة مسرعاً منفعلاً في قمة غضبه، وقام بضرب أدهم بلكمة قوية أسقطته أرضاً، وأخذ حمزة يقول منفعلاً: أيها الحقير تحتضنها أمامي؟ أنسيت إنها خطيبتي؟

وقف أسامة حائلاً بينهما، واحتضن حمزة طالباً منه الهدوء ثم قال لأدهم الذي كان مازال راقداً على الأرض: أرجوك يا أدهم بعد ما حدث اليوم ابتعد عنا، ولا شأن بك بديما فهي مخطوبة لحمزة.

نهض أدهم من الأرض، وهو ينظر إلى حمزة بغضب شديد، وأخذ يتحسس فكه الذي أصيب فصارت أسنانه مغطاة بالدماء فبصق على الأرض، وغادر المصحة مسرعاً.

****

مرت الأيام، وبدأت ديما تتعافى، وعادت إلى منزلها، وجاء حمزة لزيارتها، وبينما هو يجلس مع شقيقاها أسامة، وهاني قال: أنا أرى إننا يجب أن نسرع بإقامة حفل خطبتنا أنا وديما فربما أخرجها هذا من شرودها وحزنها.

قال هاني: أعتقد إنه لم يحن الوقت لهذا فلم تمر سنة على وفاة والدي.

قال حمزة: دعك من هذه الأفكار المتخلفة يا هاني. فنحن لن نظل حبيسي أحزاننا، ولابد للحياة أن تسير.

قال هاني: أنا صراحة لا أرى سبباً مقبولاً للإسراع بإقامة حفل الخطبة وديما في هذه الحالة فهي ما زالت غير كاملة الإدراك، ولم تشفى شفاء كامل بعد.

قال حمزة: تأكد إنها بعد حفل الخطبة ستعود كما كانت وأفضل.

قال هاني دون إدراك: كيف ذلك وهي في الأصل كانت ترفض خطبتها لك؟

شعر حمزة بالغضب ونظر إلى أسامة الذي نظر بدوره إلى هاني معاتباً بينما قال حمزة: هل يرضيك كلام شقيقك يا أسامة؟

قال هاني بحدة: أنت تعلم جيداً إنها كانت تود الإرتباط بأدهم لولا رفض والدي رحمه الله.

قال حمزة: ووالدك رحمه الله كان أعلم منك ومنها بمصلحتها لذلك لم يوافق على خطبتها لأدهم، ووافق على خطبتها لي. يبدو إنك يا هاني لا تحترم قرارات أبيك أو ترى إنك تفهم أفضل منه.

قال هاني بغضب: افهم ما تفهمه. أنا غير موافق على هذا الإرتباط، وللعلم أنا كلي ثقة إنك أنت السبب فيما حدث لها.

ونهض هاني مغادراً، ودلف إلى غرفة شقيقته ديما.

قال أسامة: أعذره يا حمزة فهو شديد التعلق بديما، ويخشى عليها بشدة.

قال حمزة: وماذا قلت عن موضوع حفل الخطبة؟

قال أسامة: سأطرح الأمر على أمي وديما ثم أخبرك.

وبينما هما جالسان آتت إليهما والدة ديما فأخبرها أسامة بما يريده حمزة فقالت والدة ديما: ليس هذا وقت احتفال يا حمزة فديما مازالت في غير حالتها.

قال حمزة: إذن أريد وعداً صريحاً منكما أن ديما ستكون لي.

ابتسمت والدة ديما وقالت: لا تقلق يا حمزة هي لك. فأنا لن أستطيع مخالفة قرار زوجي الراحل.

ابتسم حمزة ابتسامة واسعة وقال: ونعم الوفاء يا زوجة عمي، ونعم الوفاء.

فوجئ أدهم باتصال هاتفي من هاني، وأخبره أنه سيأتي لزيارته، وبالفعل آتى هاني لمقابلة أدهم، وأخذ الإثنان يتحدثان ثم قال هاني:

لقد تحدثت مع ديما بخصوصك يا أدهم فأخبرتني بما حدث بينكما في المقطم فأريد أن أسمع منك أنت أيضاً.

قال أدهم دهشاً: هل أخبرتك إنها ذهبت مع حمزة!

قال هاني: نعم يا أدهم. لقد قصت على القصة كلها منذ أن سرق أحدهم هاتفها ثم انطلق هارباً بواسطة دراجة نارية ثم فجأة ظهر حمزة، وطلب منها أن تركب معه سيارته ليطارد اللص ويحضر لها هاتفها، وظل حمزة يسير خلف اللص حتى وصل إلى مدينة المقطم لكن اللص تمكن من الفرار منه، وعندما حاول حمزة قيادة السيارة مرة ثانية فوجئ بعطب في موتور السيارة.

بدت الدهشة على وجه أدهم وقال: وما هذه الصدفة التي جعلت حمزة يتواجد في ذلك الوقت؟ لابد أن هذا اللص من طرف حمزة، وهو الذي أرسل لي الرسالة من هاتف ديما.

أخذ أدهم يقص بدوره على هاني كل ما حدث في ذلك الوقت ثم قال هاني: لقد اتضح لي كل شيء. لقد كانت لعبة قذرة من حمزة، وشقيقته حتى تفترق عن ديما، وللأسف نجحا فيها، وكانت ديما المتضررة الكبرى من هذه المؤامرة.

بدا التأثر الشديد على وجه أدهم وقال: لولا غبائي، وحماقتي ما استطاعا خداعنا، وما تضررت ديما بمرضها النفسي. لكني أقسم لك أن أجعلهما يدفعان ثمن هذا غالياً جداً.

قال هاني: المهم أن تذهب إلى ديما لتعتذر إليها، وتشرح لها كل ما حدث فربما أعادها ذلك إلى طبيعتها.

قال أدهم: أخشى ألا يسمح لي أسامة بذلك.

قال هاني: لا تشغل بالك بأسامه. أسامة ليس سيئاً فهو أيضاً يريد الخير لديما. ولقد استطاع حمزة إقناعه إنك سبب ما حدث لديما.

قال أدهم: ومتى أذهب إلى ديما؟

صمت هاني للحظات ثم قال: ما رأيك أن تأت معي الآن؟ فلا داع لإضاعة الوقت.

نهض أدهم من مجلسه مبتسماً وقال: لا أعرف كيف أشكرك يا هاني. لن أنسى لك هذا الموقف أبداً.

وقام أدهم باحتضان هاني، وبالفعل ذهبا سوياً إلى منزل أسرة ديما، وقابلته والدتها بفتور وجلست معه دون أن تتحدث بأية كلمة لكن كان يبدو على وجهها عدم الرضا بوجوده، وأتت ديما بصحبة هاني، وكان يبدو عليها إنها صارت أفضل من ذي قبل، ولكنها كانت متجهمة بعض الشيء تفتقد لروحها المرحة المعروفة عنها، ووقفت أمام أدهم، وابتسمت له ابتسامة خفيفة، وجلست على المقعد المجاور له.

قال أدهم: أشعر إنك الآن أفضل يا ديما.

قالت ديما بهدوء شديد: كيف حال جومانة؟

دهش أدهم من هذا السؤال، وتبادل النظرات هو وهاني ثم قال: لا أراها كثيراً هذه الأيام.

ابتسمت ديما بسخرية وقالت: لقد رأيتكما.

بدت دهشة أعمق على وجه أدهم بينما ترقب هاني ووالدته الموقف وبداخلهما سؤال عما تقصده ديما.

قال أدهم مبتسماً: لا أفهم ماذا تقصدين؟

وهنا نهض هاني قائلاً: أمي. أريد التحدث معك في الداخل.

امتعضت والدته وسارت معه، وصار أدهم وديما يجلسان بمفردهما فقالت ديما: هل عرفت إني بريئة من علاقتي بحمزة؟

قال أدهم: نعم يا ديما. لقد كانت مؤامرة قذرة من حمزة، وجومانة.

قالت ديما: واحتضانك وتقبيلك لها في منزلك أكان مؤامرة أيضاً؟

بهت أدهم، وكأن صاعقة أصابته فاستطردت ديما قائلة: لقد ذهبت إليك يومها لأوضح لك ما حدث يوم المقطم ففوجئت بباب شقتك مفتوحاً، ونظرت ففوجئت بك تحتضن جومانة، وتقبلها. لماذا فعلت ذلك يا أدهم. لقد غضبت أنت لمجرد وجودي مع حمزة فما بالك بي وقد رأيتك في هذا المشهد القبيح؟ نظر أدهم إلى الأرض وقال بصوت يغلفه الندم: لن أضع لنفسي مبرر يا ديما. لقد أخطأت بالفعل، ولقد شعرت بالندم الشديد في نفس تلك الجلسة مع جومانة، وقمت بتوبيخها، وطلبت منها عدم حضورها إلى منزلي مرة أخرى. فتأكدي أن ذلك لن يتكرر مرة أخرى فأرجوك أن تسامحيني يا ديما. فأنا أحبك، وسأظل أحبك وحدك للأبد. انفرجت أسارير ديما، وأشرقت شمس وجهها، وقالت: وإن لم يسامح الجسد روحه فكيف له أن ينول الحياة. لابد أن أسامحك يا أدهم فأنا لا أستطيع الحياة بدونك. لقد فقدت عيناي في غيابك أهميتها فما أهمية النظر إن لم أكن أراك.

ابتسم أدهم وقال: المهم يا ديما أن نعود لسابق عهدنا، وتعودي إلى كليتك.

قالت ديما: لقد صرت في أفضل حال بعد أن عدت إليِ يا أدهم، وسأذهب إلى الكلية فريباً.

التقى أدهم بديما أمام كليتها، وجلس الإثنان داخل سيارة أدهم.

وقالت ديما بجدية: أتعلم يا أدهم لولا إني أدركت خلال الأيام الماضية التي ابتعدنا فيها عن بعضنا إنني لا أستطيع الحياة دونك لكان لي معك حساب آخر بعد ما رأيته بعيني بينك وبين جومانة.

قال أدهم: أرجوك يا ديما إنسي ذلك الموضوع فأنا نفسي أجاهد لنسيانه فأنا نادم على ذلك اشد الندم.

قالت ديما منفعلة: ولماذا فعلت ذلك إذن؟

قال أدهم: لقد ضعفت أمام إغوائها لي فأنا بشر يا ديما. ثم إنني كنت في حالة شديدة من الغضب تجاهك وكانت فعلتي تلك مع جومانة بمثابة انتقام منك.

قالت ديما بغضب وصرامة: حسناً يا أدهم. هذه المرة كان لها ظروفها الخاصة لكن تأكد إني لو شعرت إنه يوجد بينك وبين أي فتاة علاقة فستنتهي علاقتنا للأبد مهما كان ذلك مؤلماً لي.

قال أدهم: تأكدي يا حبيبتي إنه لن يحدث ذلك أبداً.

وهم أدهم أن ينطلق بسيارته لكنه فوجئ بسيارة حمزة تأتي وتقف أمام سيارته، وهبط حمزة الذي كان مرتدياً زيه الميري مسرعاً غاضباً، وضرب بيده

سيارة أدهم ضربات قوية، وتوجه نحو ديما، وفتح باب السيارة، وأمسك بذراع ديما، وأخذ يجذبها للخارج قائلاً بعصبية: إهبطي من السيارة.

وبالفعل هبطت ديما من السيارة غاضبة، وكذلك هبط أدهم مسرعاً، وتوجه نحو حمزة قائلاً: أترك ذراعها يا حمزة.

قال حمزة بغضب: أنت بأي حق تلتقي بها، وتجعلها تركب جوارك في السيارة؟

نزعت ديما يده التي تمسك بذراعها بقوة وقالت غاضبة: وما شأنك أنت بي؟ هذا شيء لا يخصك.

قال حمزة منفعلاً: كيف لا يخصني. أنسيت إنك خطيبتي؟

تجمع حولهم طلبة وطالبات الكلية، وقالت ديما منفعلة: وأنا لم أوافق على خطبتك لي فانسى هذا الموضوع تماماً.

قال حمزة: أترفضينني من أجل هذا التافه؟

قال أدهم بغضب: أحترم نفسك يا حمزة، والتزم حدودك.

نظر حمزة إلى أدهم باحتقار شديد وقال: ابتعد يا حبيبي من أمامي حتى لا أسحقك بقدمي.

تمالك أدهم أعصابه بصعوبة، وقال: لولا والدك العميد كامل لكان لي معك كلام آخر.

اقترب حمزة برأسه من رأس أدهم قائلاً: يبدو إنك نسيت اليوم الذي كنت فيه كالحشرة الملقاة على أرض حجرة السجن. فما رأيك هل تود تكراره؟

قال أدهم: ليس غريباً على شخص مثلك أن يسيء لتلك المهنة الشريفة، ورجالها المحترمين الذين يضحون بأنفسهم من أجل وطنهم. أنت نموذج سيء لضابط الشرطة يا حمزة.

ضحك حمزة وقال: هل تريدني أن أصفق لك على خطبتك هذه؟ هيا ابتعد من أمامي.

وعاود حمزة الإمساك بذراع ديما، وسار بها نحو سيارته فقالت ديما منفعلة: أترك ذراعي. أنا أكرهك. أتفهم. أنا أكرهك.

حاول أدهم أيقاف حمزة فلكمه بقوة أسفل ذقنه فصرخت ديما واغتاظ أدهم بشدة، وهم أن يرد لحمزة الضربة لكن حمزة قال له محذراً، وهو يشير إلى زيه الميري الذي يرتديه: إياك أن تمد يدك.

قال أدهم بغضب: تتحامى في زيك الميري أيها الفاسد. هذا الزي أنت لا تستحق ارتدائه.

ضحك حمزة، وقال لديما: هيا سيري معي حتى لا أقتله أمامك. نظرت ديما لأدهم بيأس، وسارت مع حمزة بينما وقف أدهم في شدة الغضب، والغيظ.

******

استقبل العميد كامل في مكتبه ديما، وشقيقاها أسامة، وهاني، وطلبت ديما من العميد كامل قبول اعتذارها عن ارتباطها بحمزة، وأخبرته إنها لم تكن موافقة منذ البداية ولكن والدها الراحل هو الذي كان مصراً على تلك الخطبة.

قال العميد كامل بحزن: لقد كنت أعلم كل هذا يا ابنتي للآسف، وكنت واثقاً أن تلك الخطبة لن تكتمل.

قال أسامة: أرجو ألا تغضب منا يا سيادة العميد.

قال العميد كامل: لا يا أسامة. أنا لست غاضباً فالخطأ كان خطئي من البداية عندما رضخت لإلحاح حمزة، وأنا أعلم جيداً أن ديما لا تريده.

قالت ديما: المهم يا عمي أن تجعل حمزة يكف عن ملاحقتي، ويبتعد عني تماماً.

امتعض العميد كامل وقال: سأبذل معه كل جهدي فأنا أعلم إنه عنيد، ولكن اطمئني يا ديما سيكون كل شيء كما تأملين.

قالها العميد كامل وهو يعلم جيداً أن حمزة لن يتقبل هذا الكلام، وسيزداد عناده، وإصراره على ملاحقة ديما.

لقد كان كامل يعلم طبيعة شخصية حمزة، وحبه للتملك، وكراهيته لأن يأخذ أحد منه شيئاً دون إرادته. لذلك كان كامل واثقاً أن الموضوع لن ينتهي بتلك السهولة، وإنه حتماً سيشتد العداء بينه وبين أدهم.

في غرفة نومه جلس كامل يفكر كيف سيخبر حمزة بذلك الأمر، وكيف سيكون رد فعله، ودون تردد نهض كامل، ودلف إلى حجرة حمزة فوجده يقوم بأداء تمرين رياضي خاص لتقوية عضلات الذراعين فقال كامل: أريد أن أحدثك في أمر هام يا حمزة.

اعتدل حمزة قائلاً: خيراً يا أبي؟

صمت كامل للحظات ثم قص عليه ما حدث بينه وبين ديما وأشقائها فارتسمت ملامح الغضب على وجهه، وصاح منفعلاً: وكيف توافق على طلبهم هذا دون الرجوع لي؟

قال كامل بحدة: إنصت لي جيدا" يا حمزة. الزواج ليس غصباً. ديما لا تريدك، ولا توجد أي وسيلة لإتمام زواجكما إلا موافقتها.

قال حمزة بغضب: ستوافق بإرادتها أو دونها.

قال كامل بغضب: وكأنه يقف أمامي بلطجي يتحدث وليس ضابطاً من المفترض أن يعرف كيف يتحكم في عاطفته، وأعصابه.

قال حمزة وكأنه يحدث نفسه: ما زالت تفضل عليّ ذلك التافه المسمى أدهم، ولكني أعرف كيف سأحطم غرورها وغروره.

قال كامل محذراً: إياك أن تقوم بأي فعل أحمق يا حمزة.

قال حمزة وهو يضرب راحة يده بقبضة يده الثانية: من فضلك يا أبي أَخرِج نفسك من هذا الموضوع فلقد انتهى دورك، والآن حان دوري لأريهما وجهي الحقيقي.

****

الفصل العاشر

اختطـــاف

همت ديما من الدخول إلى كليتها ففوجئت بحمزة يعترض طريقها مرتدياً قميصاً وسروالاً مدنيان فقالت:

_ حمزة! ماذا تريد الآن؟

قال حمزة بعصبية وهو يمسك بذراعها:

_ أأنت ترفضين خطبتي؟ أتفضلين عليّ ذلك التافه؟

قالت ديما: من فضلك يا حمزة أترك ذراعي، ودعني أدخل كليتي.

لم يعبأ بكلامها وقال بعصبية: لا تظني إني سأترككما تهنئان. فليس أنا من يؤخذ منه شيئاً بغير رضاه. فإما أن تكوني لي أو فلتجهزا قبركما أنتما الإثنان.

انفعلت ديما قائلة: أترك ذراعي لو سمحت.

لاحظ عدد من شباب الكلية ما يحدث فاتجهوا نحو حمزة مسرعين وقال أحدهم: ماذا بك؟ أترك ذراعها.

نظر إليه حمزة باحتقار وقال: لا شأن لك بهذا. هيا العب بعيداً، وإلا قمت بوضعك في السجن فأنا ضابط شرطة.

قال أحد الشباب: ألأنك ضابط شرطة تتجبر على الناس؟

وقال شاب أخر: نحن نحترم رجال الشرطة، ونقدر تضحياتهم، ونعرف كيف يتعرضون للمخاطر، ويصمدون أمامها من أجل وطنهم، ولكن للآسف شخص مثلك بتلك التصرفات يمكّن أعداء الوطن من الإساءة لجهاز الشرطة بأكمله، وتشويه صورته.

قال حمزة مبتسماً بسخرية: هل انتهيت أيها الخطيب الماهر؟ هيا انصرف الآن أنت وزملائك حتى لا يكون اليوم هو آخر أيام حريتكم.

هنا آتى إليهم شاباً وسيماً قائلاً: ما الأمر.

قال حمزة بسخرية: ها قد جاء متطفل آخر.

قال الشاب بجدية: لماذا تمسك بذراعها هكذا؟

قال حمزة بغضب: وما شأنك أنت؟ هيا انصرفوا جميعاً قبل أن أوجه لكم جميعاً تهمة الإعتداء على رجل شرطة.

قال الشاب مبتسماً: أنت رجل شرطة إذن؟

قال حمزة: نعم. وهيا اذهب أنت وهؤلاء الحمقى من أمامي.

قال الشاب: هل من الممكن أن تريني هويتك؟

ضحك حمزة بسخرية وقال: هويتي!؟ تريد أن ترى هويتي؟ إليك هويتي..

هم حمزة أن يلكم الشاب لكن الشاب استطاع تفاديها ليس هذا فحسب لقد أمسك بذراع حمزة وقام بثنيها ووضعها خلف ظهر حمزة بقوة فقال حمزة منفعلاً: ستدفع ثمن هذا غالياً.

قام الشاب بترك ذراع حمزة ووقف أمامه قائلاً: أنت الذي ستدفع ثمن تصرفاتك هذه غالياً.

ثم أظهر الشاب لحمزة بطاقة هوية مستطردً: أنا الرائد سعيد الشوادفي من الأمن العام من فضلك أبرز لي هويتك.

بدا الإرتباك على حمزة بينما ابتسمت ديما كما بدا الارتياح على وجه الحاضرون.

****

جلس أدهم في غرفته على مقعده الهزاز يشاهد أحد الأفلام فوصل إلى أذنيه رنين جرس الباب، قام أدهم بفتح باب الشقة ليفاجئ أمامه بحمزة يقف شامخاً فقال أدهم مندهشاً: حمزة!

دلف حمزة إلى داخل الشقة دون استئذان، وقال: لقد آتيت إليك يا أدهم لنتفاهم بهدوء وبتعقل.

وقف أدهم أمام حمزة، وعقد ساعديه أمام صدره وقال: هات ما عندك يا حمزة.

قال حمزة: حبيبي أدهم. مهما حدث بيننا فنحن أبناء عمومة فأرجوك لا تضطرني لأذيتك.

ابتسم أدهم بسخرية وقال: ولماذا تأذيني يا حياتي؟ ماذا فعلت لك؟

قال حمزة بحدة: ليس لك شأن بخطيبتي يا أدهم.

قال أدهم بسخرية: ما هذا؟ أمازلت خاطباً؟!

قال حمزة بعصبية: لا تتحداني يا أدهم، وابتعد عن ديما.

قال أدهم بسخرية: ماذا حدث لك يا حمزة؟ ألم يعد لديك أي نوع من الإحساس؟ أنت تعلم جيداً أن ديما تحبني، وأخبرتك مراراً إنها لا تحبك، وإنها تكرهك، ورغم ذلك تريد الزواج منها. أنت غريب جداً يا حموزة.

قال حمزة بلهجة قوية: للمرة الأخيرة أقولها لك يا أدهم. ابتعد عن ديما. لا تجعلني أضعك في رأسي.

نظر أدهم إلى عيني حمزة وقال بتحد: بل لا تضطرني أنت أن أضعك في رأسي.

فوجئ حمزة بتلك الجملة فقال: ماذا قلت!؟ أنت تضعني أنا في رأسك!؟ يبدو أنك لا تعرف مع من تلعب؟

اقترب أدهم بوجهه من وجه حمزة وقال بنبرة قوية غير معتادة: ما رأيك أن يضع كل منا الآخر في رأسه، ونرى من الذي سيحطم رأس الآخر في النهاية؟

للمرة الثانية فوجئ حمزة بطريقة أدهم فأخذ ينظر إليه متفحصاً ثم قال: لست أدري كيف جاءتك الجرأة لتتحدث معي هكذا. لكن إعلم أنك أنت الذي أردت التحدي فلا تأت بعد ذلك باكياً إلى والدي ليشفع لك عندي.

قالها حمزة ثم أسرع بالخروج من الشقة بينما ظل أدهم واقفاً في مكانه، وارتسمت على شفاهه ابتسامة عريضة.

****

سار أدهم بسيارته متوجهاً إلى كلية ديما، ولكن تعترضه سيارتان داخل كل منهما أربعة شباب أصحاب بنية رياضية قوية، وأخذ راكبو السيارتان يتحرشان به بألفاظ مسيئة ثم أخذت السيارتان تحتكان بسيارة أدهم فأصاباها بكثير من الصدمات فتملك الغضب من أدهم فأوقف سيارته، وهبط منها، وكذلك هبط الشباب من السيارتان واتجهوا جميعاً نحوه وقد أمسك كل منهم مدية في يده، وقال أحدهم: لماذا وجهت إلينا السباب أيها الغبي؟

قال أدهم: أنتم الذين بدأتم بالإساءة لي، وبالإحتكاك بسيارتي فماذا تريدون؟

قال أحدهم: نريد أن نجعلك تشعر إنك شخص تافه لا يجب أن تضع رأسك برأس أسيادك.

فهم أدهم إنهم مرسلين من قبل حمزة فقال متحدياً: حسناً. هيا أروني قوتكم.

ركض الشباب الثمانية بسرعة نحو أدهم لكنه قفز من فوق رؤوسهم ثم عاجل أحدهم، وركله بقدمه بقوة في ظهره فسقط أرضاً، وارتكز على إحدى ذراعيه، ودار بجسده راكلاً أقدام ثلاثة آخرين أسقطهم أرضاً، وبدأ العراك مع الآخرين غير عابئاً بكثرتهم، ولا بأسلحتهم فبرغم هذا كان هو الأكثر شراسة وعنفاً، وكانت المعركة تميل لصالحه تماماً.

خرجت ديما من كليتها، وأخذت تبحث بعينيها عن أدهم فلم تجده فقامت بالإتصال به فلم يجيبها، وكررت ذلك عدة مرات لكن دون فائدة فبدأت تشعر بالقلق فقررت الإتصال بالدكتورة نادية لتسألها عنه فأخبرتها نادية أنها لا تعلم عنه شيئاً وبينما هما تتحدثان وقفت جوار ديما سيارة ميكروباص خرج منها خمسة أشخاص ملثمين ذو بنية رياضية قوية، وقاموا باختطاف ديما، وإدخالها إلى السيارة الميكروباص وسط صراخها العالي الذي وصل بدوره إلى الدكتورة نادية التي كانت ما زالت تتحدث إليها عبر الهاتف كما سمعت نادية صوت أحد الأشخاص يصرخ في ديما ويطالبها بالصمت، وإلا قتلها ثم قطع الإتصال بينهما، وقد فهمت نادية أن ديما تعرضت للاختطاف.

وفي إحدى المناطق النائية المهجورة بمحافظة الحيرة، والتي بها أرض زراعية، وأمام بيت صغير من دورين وقفت السيارة الميكروباص، وهبط منها الخاطفون، ومعهم ديما، وقد وضعوا على عينيها عصابة سوداء لتحجب عنها الرؤية، وقام الخمسة أشخاص الخاطفون بإدخالها إلى إحدى الشقق بداخل هذا البيت، وكانت شقة مليئة بالكراكيب الخشبية، والورقية، وأخذت الدموع تنساب من أسفل العُصابة التي تغطي عيني ديما، وقام أحدهم بإزالة العصابة من فوق عينيها فأخذت ديما تتوسل له أن يدعها ترحل، لكن الرجال لم يعبئوا بتوسلاتها، وبكائها، وخرجوا من الغرفة، وأبقوها بداخلها، وأغلقوا عليها الباب، وأوصده أحدهم وأغلقه بالمفتاح بينما انهارت هي في البكاء.

****

تمكن أدهم من الخلاص من الرجال الثمانية، وجعلهم ملقون على الأرض يتألمون ثم أسرع إلى كلية ديما، وعندما لم يجدها أخذ يتصل بها لكن بالطبع لم يأتيه رد لكن أتاه اتصال هاتفي من والدته التي أخبرته بما سمعته في حديثها الهاتفي مع ديما فقال منفعلاً: ما هذا الذي تقولينه يا أمي؟ ديما خطفت؟ ومن الذي خطفها؟

أنهى أدهم المكالمة مع والدته، ووقف حائراً لا يعرف كيف يتصرف، وعاد إلى سيارته، وأخذ يضرب بيده عجلة القيادة، وقال محدثاً نفسه: مؤكد هو الذي فعلها، ولا أحد غيره.

قبل منصف الليل بقليل هبط حمزة من سيارته، وهم بالتوجه نحو بناية شقته لكنه فوجئ بصوت ينادي عليه فنظر إلى صاحب الصوت فوجده أدهم فتوقف مندهشاً قائلاً: أنت!؟ ماذا تريد؟

وقف أدهم أمامه وقال بحزم: أين ديما يا حمزة؟

امتعض حمزة وقال: للآسف يبدو أن كلام والدتك الدكتورة نادية صحيحاً وديما خطفت.

قال أدهم منفعلاً: ومن تظنه يخطف ديما يا حمزة سوى شخص يريد الإنتقام منها وإذلالها؟

نظر إليه حمزة بحدة وقال: لا أفهم ما تقصده.

قال أدهم بغضب: أنت الذي خطفت ديما يا حمزة.

قال حمزة: يبدو إنك فقدت عقلك. هيا اذهب من هنا.

أمسك أدهم في ملابس حمزة وقال منفعلاً: أين ديما يا حمزة؟

قال حمزة بغضب، وهو يبعد يدي أدهم عن ملابسه: أترك ملابسي أيها المجنون. أنا لا أعلم شيئاً عن ديما.

قال أدهم: البلطجية الذين أتوا للعراك معي ألم ترسلهم أنت حتى تعطلني عن الذهاب إليها لتتمكن من اختطافها؟

قال حمزة: ما هذا التخريف الذي تقوله. أنا عندما أريد الخلاص منك لن أحتاج لمساعدة أحد.

امتعض أدهم ونظر إلى حمزة بغضب، وقال بلهجة تهديدية: أنا أحذرك يا حمزة. لابد أن تعود ديما إن أردت أن تظل باقياً على قيد الحياة.

وانصرف أدهم بينما ظل حمزة واقفاً ينظر إليه بكراهية شديدة.

استقبل العميد كامل في مكتبه حمزة ابنه، ووالدة ديما التي كانت تبك بشدة، ومعها أسامة، وهاني. قال العميد كامل محاولاً زرع الطمأنينة في قلب الأم: لا أريدك أن تقلقي يا سيدة عفاف ففي أقرب وقت سنعثرعلى ديما بإذن الله.

قال أسامة: أرجو أن يحدث ذلك سريعاً فنحن في أشد حالات القلق والخوف على ديما.

قال كامل: لا تقلق يا أسامة فأنا متابع جيد لذلك الموضوع فديما بمثابة ابنتي مثل جومانة، وأنا أيضاً في شدة القلق عليها.

وبينما هم جالسون آتى أدهم لمقابلة العميد كامل ففوجئ أدهم بوجود حمزة، وكذلك أسرة ديما.

قال أدهم: هل توصلتم لشيء بخصوص ديما يا سيادة العميد؟

قال العميد كامل بآسف: للآسف لا. لكننا لن نيأس، وسيظل البحث جارياً.

قال أدهم بغضب: سيادة العميد أنا أريد تحرير محضر أتهم فيه حمزة باختطاف ديما.

وقعت الجملة على الجميع كالصاعقة بينما قال حمزة غاضباً: ما هذا الذي تقوله أيها المخبول، وبأي صفة توجه لي هذا الإتهام.

قال أدهم: بصفتي أبن عمها.

قال حمزة ساخراً: أبن عمها؟ ألم تخبرك والدتك بعد إنك لست أبناً لدكتور محمود..

قال كامل منفعلاً: حمزة. كف عن هذا الحديث.

قال حمزة مرتبكاً: ما كنت أود أن أقول ذلك ولكنه اضطرني.

ارتسمت الدهشة على وجه أدهم وقال: ما هذا الكلام الذي يقوله حمزة يا سيادة العميد. أأنا حقاً لست أبن الدكتور محمود؟

قالت والدة ديما: نعم. لقد آتى أحد المحامون إلى زوجي توفيق قبل وفاته ومعه رسالة قديمة من الدكتور محمود يخبره فيها إنك لست ابنه.

قال كامل منفعلاً: أرجوكم لا تجعلونا نخرج من موضوع ديما. كونك يا أدهم أبن محمود أو لا لا يهمنا في شيء ولن يغير من تقديرنا وحبنا لك. لقد تربيت وترعرعت بيننا، وكنت بمثابة ابن لنا جميعاً.

قال حمزة بغضب: أمازلت تعامله بذلك الود وهو يريد أن يحرر لي محضراً يتهمني فيه باختطاف ديما.

قال كامل: أنظر يا حمزة، وأنت كذلك يا أدهم سأعقد معكما اتفاقاً.

قال حمزة: ما هو؟

قال كامل: من يتمكن من العثور على ديما هو الذي سيتزوجها. ماذا قلتما؟

صمت الجميع ثم قال حمزة مبتسماً: أنا أوافق.

قال أدهم وهو ينظر إلى حمزة بتحد: وأنا أيضاً موافق.

دلفت الدكتورة نادية إلى شقتها فوجدت أدهم بانتظارها، ولاحظت أنه على غير عادته فقالت له: ماذا بك يا أدهم؟

قال أدهم دون مقدمات: من والدي يا أمي؟ ولا تقولي إنه الدكتور محمود. لقد علمت أن المحامي أرسل خطاب إلى المهندس توفيق يخبره فيه إني لست ابنه.

تفاجأت نادية بذلك وشعرت بالصدمة لكنها تمالكت نفسها وقالت: هذا كلام فارغ. لقد علمت بأمر هذا المحام الذي ذهب للمهندس توفيق بتلك الرسالة ولقد أكدت له أن هذا المحام زائف ونصاب. فلقد أتى لي وأراد أن

يساومني ويبتزني فهل يعقل أنه يكتشف هذا الخطاب بعد مرور كل هذه السنوات؟ قال أدهم: أمي. أرجوك أخبريني بالحقيقة فأنا لم أعتاد منك سواها.

قالت نادية: تأكد يا أدهم أني أقول لك الصدق والحقيقة.

في اليوم التالي قرر أدهم مراقبة حمزة فانتظر حتى أنهى عمله داخل القسم، وغادره مرتدياً سروالاً وقميصاً مدنيان، وانطلق حمزة بسيارته، فتتبعه أدهم بسيارته، واتجه حمزة إلى طريق الإسكندرية الصحراوي وسط اندهاش أدهم، ووصل حمزة إلى مدينة الإسكندرية الساحرة، ودلف إلى إحدى المطاعم وتناول وجبة سمك بينما أدهم داخل سيارته يجلس مغتاظاً، ويكاد يشيط غضباً، وانتهى حمزة من تناول طعامه ثم سار على قدميه متوجهاً نحو كورنيش الشاطئ، وجلس على السور المحيط بالشاطئ، وطلب مشروباً ساخناً من الباعة المنتشرين على كورنيش الشاطئ، وظل أدهم يراقبه وهو مشتاط غضباً، وأخيراً توجه حمزة إلى سيارته وانطلق بها، و أدهم مستمراً في متابعته حتى فوجئ به يسير في اتجاه طريق القاهرة فازداد اندهاشه فقال محدثاً نفسه: ما هذا العبث إنه يعود إلى القاهرة. هل آتى إلى الإسكندرية ليأكل سمك ويشرب ذلك المشروب الساخن.

وبالفعل عاد حمزة إلى القاهرة وتوجه إلى بيته فامتعض أدهم وشعر بالخيبة، وأخذ يضرب بيده عجلة قيادة السيارة مفرغاً طاقته الغاضبة ثم استدار بسيارته مبتعداً عن تلك المنطقة بينما هبط حمزة من سيارته وعلى

شفاهه ابتسامة واسعة، ونظر نحو سيارة أدهم التي ابتعدت عنه وقال: أتراقب ضابط شرطة أيها المخبول. يا لك من غبي.

ودلف حمزة إلى شقته فوجد والده العميد كامل بانتظاره، وقال له بغضب: ما الذي ذهب بك إلى الإسكندرية؟

قال حمزة: لقد أخبرتك في الهاتف يا أبي كان معي بعض الأصدقاء أرادوا أن يتناولون وجبة أسماك في أحد المطاعم الشهيرة هناك.

قال كامل: المهم هل توصلت إلى شيء بخصوص ديما؟

قال حمزة: إنني أفعل كل ما بوسعي من أجل العثور عليها.

قال كامل: أخشى أن يجدها أدهم قبلك فتسيرزوجة له كما اتفقنا.

ضحك حمزة ساخراً وقال: أدهم يجدها!؟ هذا من رابع المستحيلات.

نظر إليه والده دهشاً وقال: ولم هذه الثقة؟

قال حمزة: أننا ضباط شرطة يا أبي ورغم ذلك لم نتمكن من العثور عليها فما بالك بهذا التافه.

نظروالده إليه نظرة طويلة ممزوجة بالصمت، والحيرة.

****

الفصل الحادي عشر

من القاتل

جلست ديما على الأريكة في تلك الحجرة المليئة بالكراكيب مقيدة اليدين، والقدمين، ومكمم فيها تنساب من عينيها الدموع، فُتح باب الحجرة من الخارج، ودلف إليها اثنان من الخاطفين توجه أحدهما نحوها وقام بوضع عصابة على عينيها بينما هي تقاومه وتصرخ صراخاً مكتوماً.

قال الرجل الآخر منفعلاً: اخرسي كفاك صراخاً.

خرج الرجلان من الغرفة تاركيها غارقة في دموعها، وقال أحدهما للآخر: سأدخل إلى دورة المياه فادخل أنت إلى الباشا أخبره أنه يمكنه الآن رؤية الفتاة. دلف الرجل إلى إحدى الغرف قائلاً: سعادة الباشا يمكنك الآن رؤية الفتاة.

فوجئ أدهم بالرجل الغريب يتصل به ويطلب مقابلته لأمر هام فاستقبله أدهم في شقته قائلاً: ما الأمر الهام الذي تريدني لأجله؟

قال الرجل الغريب: ما أخبار حبيبتك ديما هل عرفت من اختطفها؟

قال أدهم دهشاً: وكيف عرفت أنها خطفت؟

وقف الرجل أمام أدهم مباشرة وأخذ ينظر إلى عينيه وقال: مثلما يمكنك أنت أن تعرف أين مكانها لو أردت.

زادت دهشة أدهم وقال: لا أفهم ماذا تقصد. أرجوك تحدث بوضوح فأنا في حالة لا تسمح لي بالمجادلة والدخول في مناقشات سخيفة.

قال الرجل الغريب مبتسماً: هل تريد معرفة المكان الذي توجد به ديما؟

قال أدهم: بالطبع.

قال الرجل الغريب وهو يجذب أدهم من ذراعه: إذن هيا تعال معي.

انفرجت أسارير وجه أدهم وقال: أتعرف مكانها؟

قال الرجل: لا يوجد على الأرض شيء يخفى على.

وأسرع الإثنان إلى الشارع ووصلا إلى سيارة أدهم الذي هم أن يجلس على مقعد القيادة لكن الرجل الغريب قال له: دع القيادة لي.

وبالفعل ترك أدهم القيادة للرجل الغريب الذي انطلق بالسيارة بسرعة شديدة للغاية.

بينما تجلس ديما في محبسها مقيدة معصوبة العينين فتح باب الحجرة، ودلف إليها أحد المختطفون قائلاً: تفضل بالدخول سعادة الباشا.

وهنا ظهر كامل يدخل إلى الحجرة وهو يشير إلى الرجل بالصمت.

وفي الخارج وصلت سيارة أدهم إلى ذلك البيت، وقال الرجل الغريب: هنا توجد ديما.

وأسرع الرجل بالهبوط من السيارة، وأسرع أدهم خلفه، وبضربة واحدة من قدمه قام الرجل الغريب بتحطيم باب الشقة الحبيسة بداخلها

ديما فدهش أدهم بشدة من ذلك، وأسرع الإثنان إلى داخل الشقة فخرج إليهما رجلا كامل وحدث بينهم اشتباك قوي، وانتصر فيه أدهم والرجل الغريب، وتحرك أدهم إلى الداخل، وقد حاول كامل الإختباء لكنه لم يجد مكاناً يمكنه من ذلك ففوجئ بنفسه وجهاً لوجه أمام أدهم، وديما خلفه مقيدة معصوبة العينين تبك.

دهش أدهم دهشة عظيمة وقال: عمي كامل! أنا لا أصدق. أأنت الذي خطفت ديما؟

بدا الأرتباك على كامل الذي امتعض ولم يجد ما يقوله.

تركه أدهم، وأسرع نحو ديما وقام بحل وثاقها بينما وقف كامل تبدو عليه الحسرة، ووقف أمامه الرجل الغريب ينظر إليه مبتسماً شامتاً.

قالت ديما ببكاء بعد أن أزال أدهم العصابة من فوق عينيها: أنجدني يا أدهم. لا أعرف من الذي خطفني ولماذا؟

صاح أدهم منفعلاً وهو يشير إلى كامل: أنه هذا الرجل الذي كنت اعتبره كوالدي، هذا الرجل الذي يرتدي قناع الملائكة وهو شيطان خبيث.

دهشت ديما وقالت غير مصدقة: عمي كامل! غير معقول.

لم يتفوه كامل بكلمة، والتزم الصمت بينما اصطحب أدهم ديما وغادر المكان، وهو ينظر إلى كامل نظرات قاسية غاضبة.

****

قالت نادية غير مصدقة: لا يا أدهم. مؤكد أن هناك شيء غير طبيعي جعل عمك كامل يفعل ذلك.

قال أدهم منفعلاً: لا يوجد سبب لما فعله سوى إنه اتفق مع ابنه على الإنتقام من ديما لرفضها الزواج من حمزة، وسيدفع الإثنان الثمن غالياً.

قالت نادية: لا يا أدهم أرجوك لا تتصرف بحماقة. أنا واثقة أن كامل يحبك ويريد الخير لك، وأنه سيكون سعيداً إذا تزوجت ديما.

بدت الدهشة على أدهم وقال: وما الذي أعطاك كل تلك الثقة، وأمامنا دليل واضح على حقده وكراهيته لي ولديما؟

قالت نادية: لا تحكم على الأمور من مظهرها الخارجي فقط يا أدهم.

قال أدهم: لست أدري لماذا تدافعين عنه هكذا؟

عاد حمزة إلى شقته ليلاً، وقد بدا عليه الحزن، ودلف إلى والده الذي كان يجلس هو الآخر مهموماً يفكر داخل غرفة مكتبه، وألقى حمزة عليه التحية فبدت نبراته حزينة فلاحظ كامل ذلك فقال: ماذا بك؟

صمت حمزة قليلاً ثم قال بحزن: لقد أوقفوني عن العمل.

قال كامل: أبسبب ذلك التقرير الذي أتاهم من الأمن الوطني إنك تسيء معاملة المواطنين؟

أماء له حمزة إيجاباً فقال كامل منفعلاً: أنت تستحق ذلك. فكم أخبرتك بألا تتعالى على الناس، وأن تكف عن معاملتهم بتكبر وقسوة كأنهم جميعاً مجرمون.

قال حمزة: هل أنت شامتاً في يا أبي؟

نهض كامل من مكانه وسار نحو حمزة، ووقف أمامه قائلاً: وهل أشمت في ابني أغلى ما لدي في الحياة؟ كل ما في الأمر إنني سبق وأن حذرتك من تلك المعاملة السيئة التي تعامل بها المواطنين لكنك لم تهتم بكلامي، يا ولدي إن وظيفتنا هي الحفاظ على أمن وكرامة المواطن، وليس أن نستغل قوة منصبنا وسلطتنا في إهانة المواطن وجعله يشعر إننا أعدائه.

قال حمزة: وهل ستدعهم ينفذون ذلك القرار بإيقافي؟

قال كامل: لن يمكنني فعل شيء يا حمزة. فبرغم إنك ابني إلا إنني أوافق بشدة على هذا القرار حتى تكون عبرة لزملائك الذين على شاكلتك.

تحرك العميد كامل حزيناً متجهاً إلى غرفته بينما امتعض حمزة، وضرب جبهته في الحائط القريب منه.

بعد أن نام الجميع في شقة العميد كامل، وقد تخطت الساعة الثانية بعد منتصف الليل تحركت قدمان بهدوء شديد، متجهة إلى غرفة حمزة، وبهدوء أكبر فتح باب الغرفة، وسارت القدمان حتى توقفت أمام حمزة النائم على فراشه، وهنا استيقظ حمزة، وأبصر صاحب القدمين فأمسك بمسدسه، وهم أن يطلق الرصاص عليه لكن عاجله ذلك الشخص بطعنه

بسكينة كبيرة طعنة نافذة في حنجرته ثم قام بذبحه، وتناول مسدس حمزة ودسه داخل ملابسه، وهنا آتت جومانة، ورأت ذلك فصرخت لكن ذلك القاتل أسرع إليها وقام بذبحها هي الأخرى، وبهدوء شديد تحركت القدمان، وغادرت الشقة.

****

في اليوم التالي اكتشفت زوجة العميد كامل الجريمة البشعة، وسرعان ما آتت الشرطة، وتحولت الشقة إلى خلية نحل يجول فيها رجال البحث الجنائي، ورجال المباحث، والطبيب الشرعي الذي قام بمعاينة الجثتين لمعرفة كيفية القتل، وزمن حدوثه، كما أخذ خبير البصمات برفع كل البصمات الموجودة في مكان الحادث كما قام أحد المصورين بالتقاط صور لموقع الحادث، وبينما الكل منهمك في عمله جلس العميد كامل على أحد مقاعد الصالون منهاراً ويفكر فيمن له مصلحة بقتل أبناءه.

بينما نادية تتناول طعام فطورها مع أدهم رن هاتفها المحمول فتفحصت شاشته ثم نهضت من مجلسها وتحركت بالهاتف مبتعدة عن أدهم، وأخذت تتحدث ثم صدرت منها صرخة مكتومة، وألقت الهاتف، وراحت في نوبة بكاء حادة فأخذ أدهم يسألها عم حدث فقالت له: لقد قتل حمزة، وجومانة.

دهش أدهم بشدة وقال: ماذا!؟ ومن الذي قتلهما ولماذا؟

قالت نادية: لم يكتشفوا ذلك بعد.

قال أدهم: لكن من الذي كان يحدثك يا أمي؟

بدا الإرتباك على نادية وقالت: إنه.. عمك كامل.

دهش أدهم وقال بحدة: عمي كامل!؟ ولماذا اتصل بك؟

قالت نادية: يبدو.. يبدو إنه يشك أن لك يداً في تلك الجريمة.

صاح أدهم قائلاً: ماذا يريد مني ذلك الرجل؟ حقاً من تظنه موسى تجده فرعون. ألم يكتفي بخطف ديما فيريد الآن أن يلصق بي جناية قتل.

قالت نادية: إنه لم يقل ذلك صراحة، ولكنه سألني عن مكان تواجدك الليلة الماضية فأخبرته إنك كنت نائماً.

قال أدهم بحدة: من فضلك يا أمي لا أريدك أن تتحدثي مع ذلك الرجل مرة ثانية.

غادرت نادية شقتها متجهة إلى الصيدلية، وبينما تتجه نحو سيارتها ظهر العميد كامل لكنه اختبأ منها، ولم يجعلها تتمكن من رؤيته، وغادرت نادية المنطقة فأسرع كامل بالصعود إلى شقتها، وقرع جرس الباب ففتح أدهم له، وكانت دهشته عظيمة عندما وجد كامل أمامه، ووقف الإثنان ينظران إلى بعضهما في صمت إلى أن قال كامل بصوت حزين:

_ هل يمكنني الدخول:

قال أدهم: تفضل. في الواقع إن بداخلي صراع كبير بشأنك فغضبي منك يجعلني لا أرحب بك، والمصاب الذي تعرضت له بفقد أبناءك يجعلانني أتعاطف معك رغم كل ما فعلته معي أنت وأبنائك.

قال كامل بحزن: لن أتحدث معك بشأن تلك الأمور الآن. أنا هنا لأسألك سؤال واحد فقط.

قال أدهم: وما هو؟

قال كامل وهو يكاد يبكي: أدهم أأنت الذي قتلت أولادي؟

ابتسم أدهم بسخرية وقال: وهل لو كنت القاتل سأخبرك بتلك السهولة؟

فجأة أخرج كامل مسدساً من طيات ملابسه فصعق أدهم، واستطرد قائلاً: هل ستقتلني؟

قال كامل ومسدسه مصوب نحو أدهم: إنني أريد فقط معرفة الحقيقة. أأنت الذي قتلت أولادي أم لا يا أدهم؟

قال أدهم أنا لم اقتل أحداً. لو كنت أريد قتل حمزة لقتلته منذ فترة طويلة، منذ أن قام بسجني وتعذيبي دون سبب، أو عندما دبر مؤامرة افتراقي عن ديما، وتسبب في إصابتها بالمرض النفسي.

بدا الإرتياح على وجه كامل وقال: أرجو أن تكون صادقاً يا أدهم فيما قلت. أعاد كامل المسدس داخل ملابسه، وأسرع مغادراً الشقة.

داخل إحدى الشقق المفروشة بحي العجوزة جلس العميد كامل على أحد مقاعد غرفة الإستقبال حزيناً للغاية يدخن سيجارة، وينظر في ساعته وبينما هو جالس وصل إلى أذنيه صوت مفتاح يوضع في باب الشقة من

الخارج فنهض من مجلسه يترقب ذلك القادم، وفتح باب الشقة فقال كامل وهو يسير نحو القادم: لماذا تأخرت هكذا؟

كان القادم هو نادية التي أسرعت نحو كامل، وألقت بنفسها بين ذراعيه، وقالت: أنا آسفة يا حبيبي تأخرت عليك. المهم كيف حالك الآن؟

قال كامل بحزن: إنني أموت يا نادية.. حزني على حمزة وجومانة يقتلني.

قالت نادية بحزن: أقدر شعورك هذا تماماً يا كامل. لكن ألم تتمكن المباحث من العثور على أي خيط يرشدهم إلى القاتل؟

قال كامل: ما زالت التحقيقات جارية.

قالت نادية: ألم يكن لحمزة أعداء؟

نظر كامل إليها يريد أن يقول شيئاً لكنه التزم الصمت ففهمت ماذا يريد قوله فاستطردت قائلة بحدة: أدهم لا يمكن أن يفعل ذلك أبداً يا كامل.

قال كامل منفعلاً: ولماذا؟ ألم يكن بينه وبين حمزة عداوة شديدة ثم إنه يريد الإنتقام مني لظنه إنني خطفت ديما.

قالت نادية بغضب: أنت تتهم أدهم إذن إنه القاتل؟

قال كامل: أنا فقط ينتابني الشك، وأرجو أن أكون مخطئاً، وأرجو أن يكون هو أيضاً صادقاً فيما أخبرني به. لقد ذهبت إلى أدهم يا نادية وسألته أأنت قتلت أولادي فأجابني بالنفي.

قالت نادية منفعلة: وكيف تذهب إليه؟ ماذا لو كان احتد عليك؟

قال كامل: كان يجب أن أعرف منه الحقيقة يا نادية.

قالت نادية منفعلة: وماذا لو كان أخبرك إنه القاتل أكنت ستسلمه للشرطة؟ أكنت ستدخل ابنك السجن يا كامل؟

قال كامل بحزن: لو قالها لأطلقت الرصاص على رأسي في الحال فأنا لن أتحمل أن يقتل ابني أشقاءه.

قالت نادية بغضب: أرجوك لا تعذب نفسك يا كامل، وأرجوك أيضاً لا تضع أدهم موضع شك كفاه ما فعله به حمزة سابقاً.

قالتها وأسرعت إلى خارج الشقة، واستقلت المصعد الكهربائي، وفوجئت بالمصعد يتوقف، ويفتح بابه، ودهشت نادية عندما رأت الرجل الغريب أمامها فقالت بدهشة: أنت؟! ما الذي آتى بك إلى هنا؟

قال الرجل الغريب: يجب أن نتحدث يا نادية.

****

التقى أدهم وديما وبدا عليهما الحزن.

قال أدهم: رغم كل ما فعله معي حمزة إلا إنني حزنت كثيراً على موته.

قالت ديما: وأنا أيضاً حزينة على جومانة رغم ما فعلتماه معاً.

قال أدهم مبتسماً: أمازلت تتذكرين هذا؟

قالت ديما: ولن أنساه أبداً حتى أظل على حذري منك ولا أعطيك أمان ابداً.

قال أدهم: هل تريدين أن أقص شعري مرة أخرى؟

صاحت قائلة: لا. فصراحة كان مظهرك قبيحاً للغاية.

قال أدهم: الآن تقولين ذلك!؟ عامة يا حبيبتي يجب أن تثقي بي. ألا تعلمي إنني أحبك؟

قالت ديما: وألم تكن تحبني وقت أن فعلت فعلتك مع جومانة؟ صنف الرجال لا يكتفي من امرأة واحدة مهما بلغ حبه لها، تظل عيناه تتطلع لكل فتاة حتى وإن كانت أقل جمالاً من حبيبته، ويتدلى لسانه كالكلب إذا أشارت له امرأة أو ابتسمت فيسرع إليها.

ابتسم أدهم وقال: تأكدي يا حبيبتي لن أكون كلباً أبداً في يوم من الأيام.

دلفت نادية مع الرجل الغريب إلى شقته وقالت بغضب: نعم. ماذا تريد؟

قال الرجل: أريدك أن تنهي علاقتك بذلك الرجل المسمى كامل.

قالت نادية: ولماذا؟ أصرت وصياً عليّ؟

قال الرجل: أنت امرأتي التي أعشقها، ويجب أن تطيعيني.

ضحكت بسخرية وقالت: أأنت تعرف العشق؟

قال الرجل: لا تسخري مني يا نادية. أنت تعلمين جيداً إنه يمكنني الخلاص منه بسهولة فلا تضطريني لذلك.

قالت نادية محذرة: إياك أن تفعلها.

قال الرجل بصرامة: إن لم تبتعدي عنه فسوف أقتله، ولن يستطيع أحد منعي حتى أنت.

قالت نادية بتحد: لن أبتعد عنه، ولن يمكنك قتله.

قال الرجل: أتتحديني يا نادية؟ يبدو أنك نسيت من أنا؟

قالت نادية: لا لم أنسى. كل ما أرجوه منك أن تبتعد عنا. فمنذ أن ظهرت والمشاكل صارت تحاصرنا من جميع الجوانب.

قال الرجل: فات الوقت يا نادية، وحان وقت كشف الحقائق والحساب.

جلس كامل في غرفته بشقة زوجته ليلى أم أولاده شريداً، وعادت به الذاكرة للماضي..

بينما يجلس المقدم كامل في مكتبه جاءه اتصال من الشخص الأصلع الرأس ذو معالم الوجه الشرسة يخبره إنه على وشك الوصول إلى ضحيته ثم أنهى الرجل المكالمة، وأخذ كامل يحدث نفسه قائلاً: كان لابد من ذلك. لابد من التخلص من محمود حتى استعيد حبيبتي نادية وابني أدهم. ولأنتقم منه على معاملته السيئة لإبني أدهم، تلك المعاملة التي جعلت الولد يعاني مرضاً نفسياً في ذلك السن الصغير. ذلك المجرم القاسي كان يضرب الولد بكل قسوة لا يبالي ضعف جسده، أو صغر سنه.

هنا توقف كامل عن الحديث مع نفسه للحظات ثم تبدلت ملامح وجهه فتجهم وقال: مجرماً! هو مجرم، وماذا أنا أكون؟ إنني أشد أنواع المجرمون حقارة. أنا الذي من المفترض أن أحافظ على الأمن وسلامة الناس أدبر لجريمة قتل! يالا حقارتي. كيف سولت لي نفسي اتخاذ ذلك القرار الحقير؟ كيف نسيت ما وظيفتي، وعميت عن رؤية رداء الشرف الذي ارتديه. يبدو

إنني أصبت بمس من الجن جعلني اتخذ ذلك القرار. يجب أن أتصل بذلك القاتل ليتراجع عن قتل محمود.

بسرعة أمسك كامل هاتفه، وقام بالإتصال بذلك الرجل المكلف بقتل محمود لكنه فوجئ بأن الهاتف مغلقاً أو غير متاح فأخذ كامل يكرر الإتصال عدة مرات ولكن دون فائدة فضرب كامل مكتبة بيده بقوة وقال: لن أسامح نفسي أبداً.

خرج كامل من شروده عندما دخلت عليه زوجته تخبره إنها انتهت من إعداد الطعام، وكان الحزن الشديد يسيطر عليها. جلس كامل مع زوجته يتناول الطعام، وعاد بذاكرته مرة أخرى للماضي..

جلس كامل في غرفة مكتبه مهموماً، وطرق باب الحجرة فسمح كامل للطارق بالدخول.

فوجئ كامل أمامه بذلك الرجل المكلف بقتل محمود فقال كامل بقلق: ماذا فعلت؟

جلس الرجل على المقعد أمام كامل وقال بصوت هامس: البقاء لله يا سيدي. لقد تمت العملية.

بدت الحسرة على كامل، وقام بضرب رأسه في الحائط المجاور له وأخذ ينعت نفسه بأحط الصفات فقال له الرجل دهشاً: لماذا تفعل ذلك يا سيدي؟

قال كامل محتداً: أنت تخرس. لماذا كان هاتفك مغلقاً؟

قال الرجل: كان طبيعياً أن أغلقه حتى لا يتصل بي أحد وقت المهمة.

قال كامل: لعنة الله عليك. وكيف قتلته؟

قال الرجل: أنا لم أقتله يا سيدي.

بدت الدهشة على كامل وقال: كيف ذلك!؟ ألم تقل إنه قتل؟

قال الرجل: نعم قتل، ولكن لست أنا من قتله فلقد وجدته مقتولاً، وكذلك الطفل الصغير.

صاح كامل قائلاً: ماذا تقول؟ اقتل أدهم؟

عاد كامل مرة ثانية للزمن الحاضر على صوت زوجته التي قالت له: لماذا لا تأكل يا كامل؟

قال كامل: ومن يستسيغ الطعام في مثل هذه الظروف يا زوجتي الحبيبة؟

صمتت ولم تجيبه، وانسابت الدموع من عينيها بغزارة.

****

الفصل الثاني عشر

لســت شيطــانــاً

بينما أدهم يحدث ديما هاتفياً وصل إلى أذنيه رنين جرس الباب، وأسرع بالفتح ففوجئ أمامه بالرجل الغريب فقال أدهم: أهو أنت؟

قال الرجل الغريب: هل يمكنني الدخول؟

أنهى أدهم المكالمة الهاتفية مع ديما، وأفسح الطريق للرجل ليدخل إلى الشقة قائلاً: تفضل.

جلس الرجل على أريكة حجرة الإستقبال واضعاً ساق فوق ساق وقال: لقد علمت أن الرجل المسمى كامل قد آتى لزيارتك. في الواقع أهنئك على سباتك الانفعالي معه.

قال أدهم: ماذا تقصد؟

قال الرجل: أقصد إنك لم تهتز عندما سألك عن قتل أولاده. لقد كنت ممثلاً بارعاً.

دهش أدهم وقال: وكيف عرفت ما دار بيننا؟

قال الرجل: هذه أمور لا تخفى على أمثالي.

قال أدهم منفعلاً: أنظر ايها الرجل لقد تحملتك كثيراً، وإلى الآن أجهل شخصيتك فأخبرني من أنت بالضبط، وماذا تريد مني؟

نهض الرجل من مجلسه، وأخذ حجمه يتضخم، ويزداد طولاً، وأدهم ينظر إليه بفزع شديد، أصبح الرجل عملاق، احمرت عيناه، وصارت في لون الدم، ثم قال بصوت غليظ: أنا أقبض ابن إبليس المخلد.

دهش أدهم وقال: ماذا!

قال الشيطان: وأنت. أنت أيضاً من أحفاد إبليس المخلد.

صعق أدهم وقال: ما هذا الذي تقوله!؟

قال الشيطان وهو يسير نحو أدهم: هذه هي الحقيقة يا أدهم. أنت ابني أنا، ولست ابن محمود.

عاد الرجل الشيطان لحجم الإنسي العادي لكن ظلت عيناه حمراوان، واستمر في النظر لعيني أدهم نظرات اخترقت كل كيان أدهم الذي قال: أنا لا أفهم شيئاً. أنا على وشك الجنون.

قال الشيطان بصوت هادئ تغلغل داخل أوصال أدهم: اسمعني جيداً يا أدهم، وانتبه لما أقوله. أنت لست بشري يا أدهم، أنت أقوى منهم، وأعلى شأناً، أنت الذي يجب أن تكون سلطاناً على الأرض، وعلى الجميع. اجبر الجميع على طاعتك واحترامك بحنكة الشياطين. اجعل الناس جميعهم يحبونك، ولا يستطيعون مفارقتك، وفي نفس الوقت دبر لهم المكائد والمصائب دون أن يدروا. اجعلهم يظنونك ملاكاً بريئاً، وفي نفس الوقت اطعنهم في شرفهم وكرامتهم دون أن تجعلهم يتخيلون ولو للحظة واحدة إنك تفعل ذلك، يجب أن تكون دائماً مجاملاً، بشوشاً، مساعداً وخدوماً، وفي ذات الوقت كن كارهاً حقوداً حسوداً. لا تفعل لهم إلا ما سيعود عليك بالنفع

والاستفادة، ابتعد عن العاطفة، لا تجعل أي عاطفة تتغلب عليك، لا تكن كالأنسيين الذين تتحكم بهم عواطفهم فيصبحون عبيداً لها. الإنسي ضعيف غرائزه تسيطر عليه، وهي التي تحركه. أما أنت فأنت ستكون الأقوى لأنك من ستزرع الغريزة والشهوة في عقولهم.

إن أردت أن تكتسب محبة إنسي وتجعله ملكاً ليديك اعرف نوع الشهوة التي تحركه، واعطه منها كلما شاء ستجده دائماً محباً مطيعاً لك، لابد أن نكشف الأدميين على حقيقتهم يا أدهم. هؤلاء الذين يأتون إلينا مهرولين بمجرد أن نشير لهم بأصبعنا. الذين يحبون المعصية، ويدّعون الفضيلة، الذين يحبون القتل ويدّعون السلام، ولا ينفذوا شيئاً مما أمر به الرب ويدعون الإيمان، ويربون لحاهم كذباً ونفاقاً ظناً أن الله لا يعلم ما بقلوبهم. إن الإنسيين يريدون أن يسكنوا الجنة دون صلاة، ودون صيام، وزكاة، يريدون أن يسكنوا الجنة، وحبهم للدنيا، وملذاتها أكبر من سعيهم للوصول إليها. يريدون الجنة ورغم ذلك يجتهدون في فعل كل الموبقات التي تبعدهم عنها. لكن هناك بالفعل أناس متقون يسعون لإرضاء ربهم. هؤلاء هم الذين يجب علينا الوقوف أمامهم ونسعى لإفسادهم بشتى الطرق ولنحتنكهم ونقودهم مثلما نقود الأخرين ضعاف الإيمان والنفوس.

قال أدهم بهدوء شديد كأنه منوم مغناطيسياً: لكني لا أرى نفسي شيطاناً، ولم أفعل شيئاً من أفعال الشياطين.

قال الشيطان: لا تخدع نفسك يا أدهم أنت تعلم جيداً إنك شيطاناً.

هنا استفاق أدهم، وبدا عليه الغضب الشديد وقال: أنا لا أصدق حرفاً مما قلت. فهيا اذهب من هنا قبل أن أتلو عليك آية الكرسي وأحرقك.

قال الشيطان: حسناً يا أدهم ولكن قبل أن أذهب أنظر إلى التلفاز.

نظر أدهم إلى التلفاز فرأى والدته في أحضان كامل، وبينهما علاقة حميمة فصاح أدهم غاضباً: ما هذا؟ كيف تفعل أمي ذلك؟

قال الشيطان: هذا الرجل المسمى كامل رجل خبيث. خطف ديما لأنها تحبك، وليحرمك منها، وجاء إليك وكان يريد أن يقتلك، والآن أمك بين ذراعيه ينال منها مثلما ينال الرجل من زوجته.

قال أدهم غاضباً: يا له من خسيس حقير. إنني أريد أن أقتله.

قال الشيطان مبتسماً: هذا شيئاً بسيطاً. هيا تعال معي.

وجد أدهم نفسه فجأة هو والرجل الشيطان داخل شقة العميد كامل التي كان بها هو ونادية.

قال الرجل الشيطان وهو ممسك بسكين كبير:

_ ها قد آتينا إلى مخدع الذئب. خذ هذا السكين وانتقم منه.

قال أدهم: لكن أين أمي:

قال الشيطان: إنها في دورة المياه. فهيا أسرع.

دلف أدهم إلى غرفة نوم كامل فوجده نائماً، ورفع أدهم يده بالسكين، وهم أن يطعن بها كامل لكن فجأة دخلت نادية الغرفة، ورأت أدهم فصاحت: لا يا أدهم.

قال أدهم: ماما!؟

أسرعت نحوه وأخذت السكين من يده ثم جذبته من يده، وخرجت به من الغرفة فرأت الرجل الشيطان فقالت له: كنت أعلم أن وجودك سيدمر كل شيء.

قال أدهم منفعلاً: أمي كيف تسمحين لنفسك أن تفعلي ما فعلتيه منذ قليل مع ذلك الرجل.

صمتت نادية قليلاً ثم قالت: إنني لم أفعل إلا ما تفعله كل زوجة مع زوجها.

دهش أدهم وقال: أتزوجتي من ذلك الرجل يا أمي؟

قالت نادية: نحن زوجان من فترة طويلة.

قال أدهم منفعلاً: هذا الرجل خبيث خطف ديما ليحرمني منها لأنها رفضت الزواج من ابنه ثم أراد قتلي بعد ذلك.

صمتت نادية قليلاً ثم قالت: يبدو أنه حان الوقت لظهور الحقيقة. يجب أن تعلم يا أدهم أنني كنت على علم بخطف كامل لديما..

صعق أدهم وقال: ماذا؟

قالت نادية: عندما رأينا أنا وكامل أن الخلاف يشتد بينك وبين حمزة كان لابد أن نجد حلاً لذلك ففكرت أنا وكامل أن نقوم بخطف ديما ثم يطلب منك ومن حمزة أن تبحثا عنها ومن سيعثر عليها هو الذي سيتزوجها.

قال أدهم: بالفعل ذلك حدث.

قالت نادية: كان كامل ينوي أن يخبرك أنت عن مكان ديما لتتزوجها أنت فهو يعلم أنها تحبك أنت، ولكن ذلك الرجل سبقه وأخبرك لتظن إنه خطفها ليحرمك منها.

ابتسم أدهم بسخرية وقال: ولماذا تعاطف معي هكذا وهو يعلم جيداً إنه سيحرم ابنه من محبوبته؟ هل فضلني أنا على ابنه؟

صمتت نادية قليلاً ثم قالت: لأنك أنت أيضاً ابنه يا أدهم.

دهش أدهم بشدة وقال: ما هذا الذي تقولينه؟

وقال الرجل الشيطان: أنت كاذبة يا نادية. فأدهم ابني أنا.

تبادل أدهم النظر بين الرجل الشيطان، ووالدته وابتسم بسخرية وقال: ما القصة يا أمي أنصفي ابن لذلك الشيطان، ونصفي الآخر ابن لكامل؟ ومحمود ألا يملك جزءاً مني؟

صاحت نادية منفعلة وقالت: كفى يا أدهم. أنت ابن كامل، وهذا الشيطان كاذب فأنت لست ابنه.

قال أدهم: معنى هذا إني لست شيطاناً؟

قالت نادية: بالطبع لا.

قال الرجل الشيطان منفعلاً: إنها كاذبة لا تقول الحقيقة.

نظرت نادية إلى الرجل الشيطان بتحد وقالت: سأقص عليك يا أدهم كل شيء..

جلست نادية على أحد مقاعد الصالون وبدأت في قص حكايتها لأدهم..

توفى والد نادية قبل أن تولد بخمسة أشهر، وكان موظفاً بسيطاً أما والدتها رائعة الجمال فكانت تعمل نادلة بأحد الفنادق الكبرى بالقاهرة.

كبرت نادية، وأينعت، وشعرت هي بجمالها الساحر الأخاذ الذي يفتن كل من يراه فصارت تهتم بجمالها أكثر من أي شيء أخر حتى أنها اكتفت بالحصول على شهادة دبلوم التجارة، واتجهت بعدها للعمل كنادلة أيضاً في نفس الفندق التي كانت تعمل به والدتها التي توفت منتحرة.

تعرفت نادية على أحد الرجال الأثرياء الذي كان يقيم بالفندق، وأعجب الرجل الثري بجمال نادية المبهر، والمثير فطلب منها الزواج، وبالفعل وافقت نادية، وتزوجت من هذا الثري الذي في منتصف العقد الخامس من العمر رغم فارق السن الكبير بينهما لعلمها إنه ليس متزوجاً من أخرى، وبالتالي فثروة الرجل كلها ستكون ملكاً لها، وتركت نادية عملها بالفندق بالطبع، وفي ليلة الزفاف اتضح أن هذا الرجل الثري عاجزاً جنسياً، وعندما سألته نادية لماذا تزوجها طالما به هذا العيب أخبرها صراحه أنه تزوجها ليتباهى بها أمام أصدقائه من رجال الأعمال الذين لا يعلمون بحقيقة عجزه الجنسي، غضبت نادية على الرجل غضباً شديداً، ولكي يهدئها الرجل وهبها جزءاً كبيراً من ثروته، وكان من بين أصدقاء هذا الرجل الثري النقيب كامل الأسيوطي، و الذي أعجب إعجاباً شديداً بنادية فأخذ يتقرب منها، ويتودد إليها حتي نال ما أراد، ووقعت في شباكه، و صارت بينهما علاقة حب، ومات زوجها الثري في حادث سيارة فورثت منه نادية مبلغاً كبيراً من المال خلاف المبلغ الذي كان وهبه لها من قبل.

وظلت العلاقة بين نادية وكامل مستمرة، وانتهت عدة وفاة زوجها فطلبت من كامل أن يتزوجا فطلب منها تأجيل الموضوع قليلاً، ومرت شهور ثم فوجئت بنفسها حامل في شهرها الأول، وكان كامل بالقطع هو أب الجنين فأخبرته نادية بذلك الأمر كما طلبت منه أن يتزوجا فوراً لكنه رفض، وأخبرها إنه لن يستطيع فعل ذلك في الوقت الحاضر لأنه متزوج من ابنة أحد اللواءات الكبار بوزارة الداخلية، وأن لديه ابن، ووعدها كامل بالزواج فيما بعد فقالت له نادية غاضبة: وهذا الجنين ابنك الذي بداخل أحشائي كيف سأظهره للناس؟ وأقول لهم من والده؟

قال كامل منفعلاً: هذا ليس شأني. إنه خطئك أنت، وعليك إيجاد حل لمشكلتك.

ومرت الأيام بينهما مريرة صعبة حتى أتى إليها كامل في يوم وأخبرها إن له قريب يريد إقامة مشروع صيدلية لكن أمواله لن تغطي تكاليف المشروع. اقترح كامل عليها أن تشارك ذلك الرجل حتى تخرج نفسها من ذلك الروتين الذي تعيش فيه، وافقت نادية على مشاركة ذلك الرجل الذي لم يكن سوى الدكتور محمود الغريب، والدكتور محمود توفت زوجته وتركت له طفلتان الكبري عمرها أربعة أعوام، والصغرى عمرها عامين فقط، ولقد كان الدكتور محمود من النوع الشهواني الذي تحركه شهواته، فما أن وقعت عيناه على نادية حتي بهره جمالها، وسحره حسنها، ولم يمضي على تعارفهما أيام قليلة حتي تمكن حب نادية من أن يغزو قلبه فأصبح مغرماً بها غراماً قوياً فأخبر كامل إنه يريد الزواج منها فأخبره كامل إن نادية تعرضت لمأساة

فلقد قام شابان باختطافها وقاما باغتصابها، وهي الآن حامل، وسأله كامل هل ستريد الزوج منها بعد ذلك، وفوجئ كامل بمحمود يوافق، ويصر على الزواج من نادية مبرراً إنه بذلك يعمل عملاً صالحاً بستر إنسانه من الفضيحة، وأخبر كامل نادية بذلك الحديث، وأخبرها إنه قال ذلك لمحمود حتى يبعده عنها لكنه فوجئ به يصر على الزواج منها، وتحدثت نادية مع الدكتور محمود الذي أبدى لها رغبته الشديدة في الزواج منها، وأنه لا يقوي على الانتظار، وإنه سيتكتم على خبر حملها، وعندما تلد سيقوم بكتابة المولود بأسمه. وفعلاً حدث الزواج، وبعد نحو ستة أشهر من زواجهما وضعت نادية ابنها أدهم الذي قام الدكتور محمود بكتابته على أسمه فعرف الجميع أن أدهم هو ابن الدكتور محمود بما فيهم المهندس توفيق شقيقه.

وقف أدهم مذهولاً وقال: غير معقول! أنا غير مصدق ما سمعته. العميد كامل هو أبي الحقيقي ومحمود، وحمزة وجومانة إخوتي. يبدو إني مازلت نائماً وأحلم.

قالت نادية: تلك هي الحقيقة يا أدهم.

قال أدهم: معنى هذا أن الخطاب الذي قدمه المحام إلى عمي توفيق ليس خطاباً مزيفاً.

قالت نادية: بل هو خطاب زائف. فالمحام لم يكن سوى هذا الشيطان.

وأشارت نادية إلى الرجل الشيطان فقال أدهم مندهشاً: أأنت من فعل ذلك؟ أأنت من أفسد علاقتي أنا وأمي بعمي توفيق.

قال الشيطان منفعلاً: كان لابد من ذلك حتى أبعدك عن تلك الفتاة. فلا يليق بالشيطان أن يحب. هو فقط يمتلكهن من أجل التناسل فقط لا غير.

_ لكن لماذا يقول هذا الشيطان إنني ابنه يا أمي.

قال الشيطان: أنت ابني بالفعل يا أدهم، والدليل على ذلك أنك أنت من قتلت مدير المدرسة، وقتلت محمود، وخالد، وكذلك عمك توفيق والد ديما، وكذلك حمزة، وجومانة.

قال أدهم منفعلاً: ما هذا التخريف الذي تقوله؟ أنا لم أقتل أحداً.

قال الشيطان: مهما قلت يا أدهم لن تقنعني بأنك لست ابني، وأنا كلي ثقة بأنك أنت القاتل.

صاحت نادية منفعلة وقالت: لا. أدهم لم يقتل أحداً. أنا سأخبرك بكل شيء يا أدهم. أنا إحدى بنات هفاف ابن إبليس.

فغر أدهم فيه وظهر عليه الذهول التام. واصلت نادية كلامها قائلة: لقد ظهر الشيطان هفاف لأمي في صورة شاب وسيم وخدعها وجعلها تحبه، فنال من جسدها وشرفها فحملت منه، وكنت أنا نتيجة ذلك الحمل، ثم عرفت أمي أن ذلك الشاب ما هو إلا شيطان، ويريد أن يأخذها إلى مملكته فقامت بالإنتحار، ومرت السنون، وكبرت أنا، وتزوجت من ذلك الرجل الثري الذي وهبني جزءاً كبيراً من ماله، ثم قررت أن أقتله وأتخلص منه لأتزوج من كامل، وفعلاً قتلت زوجي لكن كامل رفض الزواج مني، ثم استمرت علاقتي بكامل واكتشفت إني حامل منه، وفي نفس ذلك اليوم جاءني هذا الشيطان

ابن عمي وقام باغتصابي، وعندما أنجبتك ظن ذلك الشيطان أقبض إنك ابنه وسار يتعامل معي على ذلك الأساس رغم إني كنت أخبره مراراً إنك لست ابنه، ومرت السنوات، وصار محمود يتعامل معك بقسوة شديدة على عكس تعامله مع ابنتاه فقررت التخلص من الطفلتين فقمت بحرفهما، أما كل من تم قتله بعد ذلك فكان بواسطتي وبواسطة ذلك الشيطان فهو أيضاً لم يكن يحب أن يتسبب أحد في حزنك.

قال الشيطان منفعلاً: أنت تخدعين نفسك يا نادية. أنت تعلمين جيداً أن أدهم ابني.

قالت نادية بحدة: اخرس.

قال أدهم: ويبدو إنكم قتلتم العميد كامل أيضاً فهو مازال نائماً رغم أصواتنا العالية.

قالت نادية: كامل بخير. هو فقط تناول دواء يجعله ينام لأنه مصاب بداء الأرق. كامل والدك الحقيقي يا أدهم، وذلك الشيطان مخادع لا تسمع له أبداً. ظهر الغضب على وجه الرجل الشيطان، وقال بصوت غليظ: أنت كاذبة. تريدين إبعاد ابني عني. لقد صبرت عليك كثيرا" يا نادية، والآن حانت نهايتك.

وقام الرجل الشيطان بالنظر إلى نادية بغضب شديد فاحمرت عيناه بشدة، واشتعلت النار في نادية التي أخذت تصرخ، ووسط صراخها، واحتراقها صاحت قائلة: آية الكرسي يا أدهم.. أقرأ أية الكرسي.

أخذ أدهم يتلو آية الكرسي، صرخ الرجل الشيطان صراخاً كثيراً لكنه اختفى فجأة، فأسرع أدهم بإحضار غطاء فراش، وحاول إطفاء النيران المشتعلة بجسد أمه إلا أنها توفت وهي تطلب منه أن يسامحها.

****

في مكتبه بوزارة الداخلية جلس العميد كامل مهموماً حزيناً، ودخل عليه العسكري يخبره أن شخص أسمه أدهم يطلب مقابلته.

دهش العميد كامل، وطلب من العسكري أن يدخله إليه.

دخل أدهم إلى العميد كامل والحزن يرتسم على وجهه، وتركهما العسكري وأغلق عليهما الباب، ووقف أدهم ينظر إلى العميد كامل بحب، وقال له بحزن: كيف حال حضرتك يا سيادة العميد، أم تسمح لي أن أناديك والدي؟

بدت المفاجأة على وجه العميد كامل الذي نهض من مقعده، وخرج من خلف مكتبه، وسار نحو أدهم قائلاً: أعرفت؟

قال أدهم والدموع تنساب من عينيه: أخبرتني أمي.

فتح العميد كامل ذراعيه ليحتضن أدهم لكنه تراجع فجأة فنظر إليه أدهم مندهشاً وقال: أمازلت تشك إنني قاتل حمزة وجومانة؟

بحزن قال العميد كامل: كل الدلائل والبراهين تقول لي إنك أنت القاتل.

قال أدهم بحزن والدموع تنساب من عينيه: أقسم لك يا أبي إني بريء من دم إخوتي. صدقني يا أبي.

جذب العميد كامل أدهم واحتضنه بقوة وبحب شديد، وأخذ يبكي بكاءً حاراً.

خرجت ديما من كليتها فوجدت أدهم ينتظرها داخل سيارته، ابتسمت وجلست على المقعد المجاور له قائلة: دائماً في موعدك يا حبيبي.

قال أدهم مبتسماً: وهل يمكن للجسد أن يتأخر عن ملاقاة روحه. أنا لا أريد أن نفترق بعد ذلك أبداً يا ديما، ولابد أن نتزوج في أسرع وقت.

قالت ديما مبتسمة: ليت ذلك يحدث يا أدهوم فأنت لا تعلم كم أشتاق أليك.

ابتسم أدهم وقال: أي الأغاني تحبي أن أسمعك؟

قالت ديما: أي أغنية لعبد الحليم حافظ فهو من تسبب في علاقتنا هذه..

قال أدهم: الأسطوانات داخل تابلوه السيارة أمامك اختاري منهم ما شئت.

فتحت ديما تابلوه السيارة وبدت على وجهها الدهشة ثم قالت وهي تمسك في يدها مسدس: أقمت بترخيص سلاح يا أدهم؟

بدا الإرتباك للحظة على وجه أدهم ثم ابتسم قائلاً: لا يا حياتي. إنه تذكار أخذته من شخص عزيز لدي.

وأخذ أدهم يستعيد ذكرياته..

بينما يجلس أدهم ومحمود على مائدة الطعام ومحمود يحدثه بإنفعال أمسك أدهم بإناء الزهور الخزفي، وضرب به رأس محمود بقوة ثم أحضر سكيناً كبيراً وذبحه به ثم قام بإزالة بصماته من فوق إناء الزهور، والسكينة ثم قام أدهم بفتح باب الشقة وركض بأقصى سرعة، وضرب رأسه في الحائط فسقط على الأرض مغشياً عليه، ونزفت رأسه الدماء. ثم تذكر أدهم عندما كان يجلس مع ديما في الكازينو ثم استأذن منها ليذهب إلى دورة المياه لكنه ذهب إلى بيتها، ودخل إلى غرفة أبيها وقام بقتله ثم عاد إليها مرة أخرى في الكازينو، وأخيراً تذكر دخوله إلى غرفة حمزة الذي اكتشف وجوده وكاد يطلق عليه الرصاص لكن أدهم عاجله بضربة قوية بالسكينة في حنجرته ثم قام بذبحه، وأخذ مسدسه، وعندما رأت جومانة ذلك قام بذبحها هي الأخرى.

أخرجته ديما من شروده قائلة: فيما أنت شارد يا حبيبي؟

قال أدهم مبتسماً: تذكرت مواقف تطلبت مني مجهوداً كبيراً لكني تمكنت من عبورها بفضل ذكائي.

وأخذ أدهم يتراقص في مجلسه، ويحرك السيارة يمنة ويساراً، وديما تضحك في سعادة.

****

بعد مرور ثلاثة أعوام..

جلس الإعلامي الكبير المشهور أدهم محمود على مقعد المذيع يقدم برنامجه اليومي الناجح، ويستضيف أحد النشطاء السياسيين البارزين، وأخيراً انتهى البرنامج، ودخل الناشط السياسي غرفة أدهم الخاصة، وأغلق أدهم باب الغرفة عليهما.

وقال الناشط السياسي مبتسماً: كنت رائعاً يا أدهم. أنت فعلاً اخترت المجال المناسب لعملنا، وفي فترة وجيزة تمكنت من الوصول إلى قمة الهرم الإعلامي، وصرت من أشهر إعلامي الوطن العربي.

وتحول الناشط السياسي إلى الرجل الشيطان.

وقال أدهم مبتسماً: لولاك ما وصلت لهذا. أنت أستاذي الذي علمني كيف استغل مهاراتي، وإمكانياتي للوصول إلى أهدافي.

قال الرجل الشيطان مبتسما: أنت من يومك تلميذ نجيب يا أدهم، وممثل بارع. تمكنت من خداع الجميع بوسامتك وبرائتك، ومعسول كلامك.

ضحك أدهم وقال: لكن لماذا اخترت لي العمل في هذه القناة بالذات، وهي مغضوب عليها من عديد من الدول العربية؟

قال الرجل الشيطان: لأنها تناسب شخصيتنا الشيطانية يا أدهوم، وتفعل ما نريد نحن الشياطين فعله من بث الفتن بين الشعوب، وإشعال فتيل الحروب بينهم كما إنها تخلق الفوضى، والانقسامات داخل البلد

الواحد فيصير مفككاً ضعيفاً يسهل غزوه، والحصول على خيراته، وبذلك يمتلئ العالم بالحروب والخراب.

قال أدهم: وهل يعمل بالقناة آخرون من جنسنا؟

قال الرجل الشيطان مبتسماً: اكتشف ذلك بنفسك يا أدهم.

قال أدهم: هناك سؤال أخير أريدك أن تجيبني عليه. لماذا لم تقل أمي إنك أبي، وأصرت إنني ابن كامل؟

قال الشيطان مبتسما: لو صدق الشيطان في كل أقواله ما صار شيطانا" يا أدهم.

وأخذ الرجل الشيطان يضحك ثم اختفى.

ووقف أدهم ينظر إلى نفسه في المرآة وقال محدثاً نفسه: كنت أعلم منذ البداية إني لست من بني الإنسان لكن مواجهة النفس بالحقيقة دائماً صعبة، فليس من السهل أن تقنع نفسك إنك شيطان رغم كل ما تفعله من شرور. أما الشيء الغريب فهو أمر البشر يتباهون بقدرتهم على أداء دور الشيطان بينما الشيطان نفسه يرتدي قناع الملائكة.

تمت

مصطفي مكاوي